مجلة جامعة جازان للعلوم الإنسانية
Jazan University Journal of Human Sciences (JUJHS)

قراءة في سرديات الحديث النبوي الشريف: (دراسة دلالية سيميائية)

خالد ربيع الشافعي
قسم اللغة العربية كلية الفنون والعلوم الإنسانية، جامعة جازان، المملكة العربية السعودية

A Reading in the Narratives of the Noble Prophetic Hadith: (A Semiotic Semantic Study)

Khalid Rabi' Al-Shafi'i
Department of Arabic Language, College of Arts and Humanities, Jazan University, Kingdom of Saudi Arabia

DOI	RECEIVED الاستلام	Edit التعديل	ACCEPTED القبول
https://doi.org/10.37575/h/edu/22002	2024/09/28	2024/12/08	2024/12/09
NO. OF PAGES عدد الصفحات	YEAR سنة العدد	VOLUME رقم المجلد	ISSUE رقم العدد
25	2025	2	13

الملخص:

نماذجَ من الحديث الشريف متمثلة في حديثي خبر من قبلنا: أَصْحَابِ الغَارِ، والأَبْرَصِ والأَقْرَعِ والأَعْمَى، وحديث: خبر من بعدنا، حَدِيثِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، ضمن دراسة السرد العجائبي في الحديث الشريف متتبعًا فيها تَحْلِيلَ تلك النصوص والمُوَازَنَةَ بَيْنَهُما مِن خِلَالِ بيان مُصْطَلَحُ العَجَائِبِيّ والمُصطَلَحات المُتَقَاطِعَةُ مَعَ مفاهِيمِ العجَائبي، والأَشْكَالُ السَّرديَّة لِلعَجَائِبي، وتَحْلِيلِ عناصر المَبْنَى الحِكَائِيّ، والمَتْن الحِكَائِيّ، واللُّغَةُ السَّرْديَّةُ، وآلِيَّاتُ النَّزْعَةِ العَجَائِبِيَّةِ في السَّرْدِ، وغير ذلك من السمات السردية للعجائبي في هذه الأحاديث الشريفة، موزعة على مقدمة وفصلين وخاتمة، معتمدًا في ذلك المنهج الوصفي القائم على التحليل، وسأستعين بالمنهج السيميائي متى اقتضت الدراسة ذلك؛ لتخلص إلى أهم نتائج البحث، ومنها: أن للسَّرد دوره الرَّئيس في رَسمِ الحَدثِ والصُّعودِ بهِ، وتقديم الشَّخْصيَّاتِ الرَّئيسَةِ، والأُخرَى المُتوَارِيَة لأَدْوَارِهَا بمُنتَهَى الدِّقَّةِ.

الكلمات المفتاحية: السرد، العجائبي، الحديث الشريف، الحكائي.

Abstract

This research, entitled "A Reading in the Narratives of the Noble Prophetic Hadith: (A Semiotic Semantic Study)," offers models from the noble Hadith which are represented in the narrations of "News from Before Us: The Companions of the Cave, The Leper, The Man with the Shortened Limbs, and The Blind," "News from After Us: The Hadith of the Antichrist," and the Hadith of the Night Journey and Ascension."

Specifically enough, it is part of a study by Al-Ajaibi on the noble Hadith, tracing the analysis of those texts and comparing them through the elucidation of the term "Ajaibi" and the intersecting terminologies with the concepts of the miraculous, the narrative forms of the miraculous, and the analysis of the elements of narrative structure, the narrative text, the narrative language, and the mechanisms of the miraculous inclination in the narrative, characteristics of the miraculous in these noble Hadiths.

To add, the research is dichotomous into an introduction and two chapters: the first chapter is titled "News from Before Us: The Before and the After," and the second chapter is titled "The Vision of Forecasting," followed by a conclusion.

The descriptive methodology is employed, relying on analysis to arrive at the most significant findings of the research, including: that the narrative plays a principal role in shaping the event and elevating it, presenting the main characters and the other characters in their roles with utmost precision.

Keywords: Narrative, Miraculous, Noble Hadith, Narrative Text.

المقدمة:

الحمدُ للهِ الذي بنعمتِه تتمُّ الصالحاتُ، وبجودِه ومَنِّه تحصلُ البركاتُ، وأصلي وأُسَلِّم على النبي الخاتم محمدٍ، (صلى الله عليه وسلم،) أتمَّ الصلواتِ وأفضلها، وبعد،

فليس من اليسير أن يصل البَاحثون في بنية الحديث الشريف وسماته إلى أعماق دلالاته؛ لتعدد طرائق تعبيره، وتنوع فنون القول فيه، ومادته العجائبية، وزخره بشتى الفِكَر، وتكاثف المعاني، وهو من الشرف بالمنزلة التي نعلم بما يجعل تأمله معينًا لا ينضب، يثير في نفس المتلقي التشويق لسماعه.

ولقد انمازت تلك الأحاديث التي بين يدي البحث ببراعة السرد، وتنوع التراكيب، وبراعة الأسلوب الأدائيّ في الخطاب، وفصاحة التبليغ، وقدرتها على جذب القلوب والعقول والأرواح معًا مما استرعت انتباه الباحث وأدواته فضلًا عن تضمنها موضوعات عجائبية مختلفة.

ولما كان ما يتضمنه الحديث النبوي في أسلوبه اتباع طرائق حكائية شائقة، وسرديات متنوعة آثرنا دراستها والوقوف عليها، وسبر أغوارها، وتمحيص دقائقها معا في بنية سردية متضافرة المكونات من شخصية وحدث وزمان ومكان السَّرْدُ وَالتَّأْوِيلُ وأسلوبهما، ومن ثم جعلت البحث قِراءة في تلك الأحاديث المنتخبة دراسة موازنة أستجلي فيها جوامع الأسلوب وفوارقه، والعناصر السردية لكل حدبث فيه، مشفعًا ذلك بالدلالة السياقية.

هذا، ولم أعثر– في زعمي مما ترصّدته– على مَن تناول هذه الأحاديث الشريفة على هذا السمت من الدراسة الآنفة، وإن كان ثمة دراسة جادّة تطرّقت لدراسة السرد العجائبي دون أن تتشابك مع ما نحن بصدده في الحديث النبوي، وهي:

. آلِيَاتُ السّرْدِ العَجَائبيّ في الخِطَابِ النبَويّ الشَريفِ، حَديث سَمُرَة بن جُنْدُب نَمُوذَجًا دكتور أسامة عبد العزيز، مجلة بحوث كلية الآداب بالمنوفية، ٢٠١٦م.

فرضيات وإشكاليات: يعالج هذا البحث الإشكالية الآتية:

ـ كيف استطاع نبينا محمد(ﷺ) من خلال سرديات أحاديثه الشريفة صياغة خطاب متسق ومنسجم مع رسالته الدعوية من خلال آليات سردية تفرعت عنها مؤولات متعددة؛ صريحة ومضمرة تحيل على برامج سردية تراعي شروط التلقي بما فيها المساق والسياق؛ أي السياق الداخلي والخارجي للخطاب الإسلامي الذي انطلق من المحلية نحو العالمية.

يتفرع عن هذه الإشكالية فرضيات متعددة نذكر من بينها:

– أن سرديات الحديث النبوي ترتبط بقضايا إنسانية محلية طارئة بالنسبة للدعوة الإسلامية الناشئة، وفي الآن نفسه تستند إلى موجهات خطابية توجه المتلقي نحو تأويل حاجيات الإنسان العالمية في كل زمان ومكان.

– إن النموذج العاملي في هذا الخطاب الحكائي يؤشر على الصراع الدائم للإنسان مع نفسه، ومحيطه؛ كي يمثل أحسن تمثيل ممكن خليفة الله في أرضه.

– تتمفصل المؤولات الدلالية في سرديات الحديث عن بناء دلالي صريح ومضمر تلعب فيه ملفوظات الحالة وملفوظات الفعل، بوصفها سمات ورؤيا لخطاب النبي الكريم دورًا مركزيًّا لنقل التجربة الفردية المحلية، ومناسبة الحديث إلى دروس وأطر تجربانية كونية يعيد بناءها المتلقي وفق مقتضيات الحال التداولية.

سعى هذا العمل، إلى التحقق من صدق الفرضيات السابقة من خلال منهاجية استنباطية استقرائية تفكك سرديات خطاب الحديث النبوي، وتعيد بناء مؤولاتها وفق

النظرية السيميائية الحكائية التي تبحث في الدلالة التواصلية الصريحة والمضمرة للبرامج السردية لكل علامة بما فيها الخطابات الدينية.

وقد تناول البحث، قصد التفكيك والتأويل، عددًا لا بأس به من أحاديث الرسول (ﷺ) يدخل فيما يعرف بالمطولات فيما لم يكن للعرب به سابق تجربة أو صناعة إلا فيما تناقلوه من أخبار الأمم التي قبلنا في الأساطير والكتب السماوية (التوراة والإنجيل)؛ حيث جمع البحث عددًا من الأحاديث النبوية الصحيحة الطويلة التي ناقشت موضوعات جاءت على هيئة مرويات سردية وجدناها تنسجم ومقتضيات الدرس السيميائي واللساني الحديثين.

خطاب الحديث النبوي:

أخبار (من قبلنا/ الماقبل والمابعد)، وضعنا المستويين في بنية سيميائية تفاعلية يمثلها المربع السيميائي، وما يناظره في البعد الدلالي الرمزي لخطاب حديثي أصحاب الغار، والأبرص والأقرع والأعمى. وهو ما يشكل تناظرًا في الزمكان حيث يصبح الماضي والحاضر محددين لمستقبل البشرية ذاتها.

خبر (من هم بعدنا) في حَدِيثِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، الرؤيا الاستراتيجية المستقبلية لخطاب النبي الكريم، عبر رحلة حكائية إدراكية في مستقبل البشرية، وما ينتظرها من حزم للقضاء على الدجل وهيمنة الجرم الشيطاني، انطلاقا من مقصدية بعيدة، وهي: توحيد الجنس البشري على إلهٍ واحد، ورسول واحد، ودعوة واحدة مما شكَّل انسجامًا معرفيًّا بين السابق واللاحق، ومن ثَمّ بين كل خطابات الأحاديث النبوية وكأنها حديث_ نواة واحدة.

ختمت هذه الدراسة السيميائية لخطاب الحديث النبوي بما ينعته (غريماس) في مشروعه السيميائي الحكائي بالمستوى المقالي الذي يكشف عن رسالة الرسالة بوصفها الغاية الأسمى لمقصدية الحديث النبوي الشريف، ولمقصدية هذه الدراسة؛ حيث ينسجمان معرفيًّا لأجل البرهنة على أهمية خطاب الحديث النبوي الموازي لخطاب القرآن الكريم في صياغة مشروع إسلامي كوني.

هذا، ولم أعثر– في زعمي مما ترصّدته– على ما تناول هذه الأحاديث الشريفة على هذا السمت من الدراسة الآنفة، وإن كان ثمة دراسة جادّة تطرّقت لدراسة السرد العجائبي دون أن تتشابك مع ما نحن بصدده في الحديث النبوي، وهي:

. آلِيَاتُ السّرْدِ العَجَائبيّ في الخِطَابِ النبَوِيّ الشَرِيفِ، حَديث سَمُرَة بن جُنْدُب نَمُوذَجًا دكتور أسامة عبد العزيز، مجلة بحوث كلية الآداب بالمنوفية، ٢٠١٦م.

أما المنهج الذي اعتمده البحث بهدف تجلية غامض تلك المقاربة، فقد كان المنهج الوصفي القائم على القراءة الوصفية التحليلية للنص موضع الدراسة في ضوء علم السرديات مع الاستعانة بالمنهج السيميائي متى اقتضت الدراسة ذلك، ودراسات تحليل الخطاب في محاولة لتلمس بنية النص السردية ما أمكنه إلى ذلك سبيلًا، وذلك بالوقوف على تلك الأحاديث التي آثر البحث دراستها.

ختامًا، أسأله ـ تعالى ـ أن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم، وأَنْ يسترني يَوْمَ الدِّينِ. والحمد لله ربِّ العالمين.

الفصل الأول: أخبار من قبلنا/ الما قبل والما بعد

١ ـ مؤولات التاريخ بين المشابهة والمخالفة:

في هذا الفصل أورد أخبار الماقبل والمابعد في سياق مؤولات ضمن بنية سيميائية تفاعلية يمثلها المربع السيميائي في حديث المسيح الدجال، وما يناظره في البعد الدلالي الرمزي لخطاب حديث أصحاب الغار، وحديث الأبرص والأقرع والأعمى..

ذلك أنني أفترض منذ البدء أن البرامج الحكائية السيميائية في تلك الخطابات، والمولدة للمؤولات تسعفنا في وضع خطاب الحديث النبوي في سياق موضوعة الاعتبار التاريخي، إذ أحلل الملفوظات السردية انطلاقًا من الفضاء ذاته، الغار: البؤرة؛ حيث يشكل جزءًا من شجرة الحكي المرسلة؛ وهذا ما يكسبه رمزية سابقة على الخطاب. وأفترض أن السرد يقتطع هنا دورًا موضوعاتيًّا معينًّا، أي جزءًا من تلك العناصر الرمزية والمعرفية الموضوعة من طرف مجتمع منتج الخطاب الذي يروم حماية مجتمعات المسلمين من الجحود المدمر.

فالدور الموضوعاتي للغار يشكل في نظري الجانب الإيديولوجي والمعرفي في السرد النبوي؛ لأنه يتعلق بقيم خاصة بمناخ سوسيو– ثقافي معطى ينتمي إلى لحظة تاريخية محددة؛ فالراوي يقدم العالم في علاقاته المتشابكة مع الطبيعة والمجتمع على حد سواء.

اخْتَرْتُ لهذا الفصل مِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ حَدِيثين مِن أَحَادِيث النَّبيّ (ﷺ)، هُمَا: حَدِيثُ "أَصحَابِ الغَارِ"، وَحَدِيثِ "الأَبْرَصِ، وَالأَقْرَعِ، والأَعْمَى"، وَقَدْ كَانَ السَّببُ في اختِيَارِ هَذَينِ الحَدِيثَينِ مَعًا ليكُونَا مَحلَّ الإجرَاءِ والمُقَارَبَةِ في هَذَا البحث هُو مَا بينَهما مِن مُؤْتلفاتٍ ومُخْتَلِفاتٍ، فَيَكُونُ التَحْلِيلُ بِمَنْزِلَةِ مُوَازَنَةٍ سَرْدِيَّةٍ بينَ نَصَّينِ لاستِجلَاءِ أَوجُهِ التَّشَابُهِ والاختِلَافِ فِي العَنَاصِرِ، وطريقَةِ الإخبَارِ، وتَحْلِيلِ العَنَاصِرِ السَّرْديَّةِ، وعَلاقَةِ كُلِّ ذَلِكَ بالدَّلَالَةِ.

- حَدِيثُ "أَصحَابِ الغَارِ":
- نَصُّ الحَدِيثِ:

عَنْ أَبِي عَبْدِالرَّحْمَنِ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَقُولُ: "انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَ انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ خْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، قَالَ رجلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَى بِي طَلَبُ الشَّجَرِ يَوْمًا، فَلَمْ أَرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُما نَائِمَينِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبَثْتُ، والْقَدَحُ عَلَى يَدِي، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرِقَ الفَجْرُ، والصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابتِغَاءَ وَجْهِكَ؛ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ.

قَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمَّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِليَّ، وفي رواية: كُنْتُ أُحِبُّهَا كأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاء؛ فأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسِهَا، فامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمَّتْ بها سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِئَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، وفي رِوايةِ: فَلَمَّا قَعَدْتُ بَينَ رِجْلَيْهَا، قالتْ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَانصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِليَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيتُها، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فيهِ، فانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا.

وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، وأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غيرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعدَ حِينٍ، فَقَالَ: يَا عَبدَاللهِ، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ: مِنَ الْإِبِلِ، وَالبَقَرِ، والْغَنَمِ، والرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَاللهِ، لَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا،

اللَّهُمَّ إِن كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ". مُتَّفَقٌ عَلَيهِ"(١).

- الحَدِيثُ الثَّانِي
- نَصُّهُ:

عَنْ أبي هريرةَ –رضيَ اللهُ عنه– أنَّه سمِعَ النَّبيَّ(ﷺ) يقول: "إنَّ ثَلَاثَةً في بني إسْرَائِيلَ؛ أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، بدَا لِلَّهِ أن يبتليَهُمْ؛ فبَعَثَ إليهِمْ ملَكًا؛ فأَتَى الأَبْرَصُ؛ فقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إليكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ؛ قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ؛ فَذَهَبَ عَنْهُ؛ فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا؛ فَقَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ. أَوْ قَالَ: الْبَقَرُ. هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ، إِنَّ الأَبْرَصَ وَالأَقْرَعَ: قَالَ أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ. وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ؛ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ؛ فَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا، وَأَتَى الأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا؛ قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ فَمَسَحَهُ؛ فَذَهَبَ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ. قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا، وَأَتَى الأَعْمَى؛ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي؛ فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ؛ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ؛ فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا؛ فَأُنْتِجَهَ ذَانِ، وَوَلَّدَ هَذَا؛ فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَص فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ: تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي؛ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ؛ فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ. أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ؛ فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا؛ فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ؛ فَقَالَ لَهُ مِثْلَمَا قَالَ لِهَذَا؛ فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَمَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا؛ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمّ بِكَ أَسأَلُكَ بالّذي رَدَّ عَليكَ بَصرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بها في سَفرِي؛ فقَالَ قد كُنتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا؛ فَقَدْ أغنَانِي؛ فَخُذْ ما شِئتَ فَوَ اللَّهِ، لَا أَجْهَدُكَ اليومَ بشَيءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ؛ فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فإنّما ابْتُلِيتُم فَقَد رَضِيَ اللَّهُ عنكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيكَ" متفق عليه(٢).

عُلَمَاءَ السَّرْدِ يقُولُونَ: إنَّ المَتْنَ الحِكَائِيَّ، والمَبْنَى الحِكَائِيَّ بمثابةِ المَضْمُونِ والشَّكْلِ، أو المادَّةِ والصِّيغَةِ. وأمَّا المَبْنَى الحِكَائِيّ فَهُوَ الأَحْدَاثُ التِي تُنجِزُها شَخْصِيَّاتُ العَملِ في فَضاءٍ زَمانيٍّ وَمكانيٍّ مُعيَّنَينِ(٣). ثم إن المَتْن يَحتَوِي عَلَى الغَرَضِ، ويُشَكِّلُ وَحْدةً مَا، ولهُ نِظَامٌ مُعيَّنٌ، كَمَا أنَّ عَنَاصِرَهُ مُرتَّبةٌ وَفقَ نِظَامٍ مُعيَّنٍ مَنْطقيٍّ أو زمني، فهو بذلك، الأَحْدَاثُ المُتلبّثَةُ في الوَاقعِ، والمَبْنَى صياغة ووصْف زَمَنِيَّة لهَذِهِ الأَحْدَاثِ.

أبرزُ مَن تَحدَّثَ في التَّفريقِ بينَ هَذينِ المُصْطَلَحينِ هو الشَّكْلانيُّ الرُّوسيُّ "توماشفسكِيّ؛ حيثُ يرَى أنَّ المَتْنَ مَجمُوعَةُ الأَحْدَاثِ المُرْتَبِطَةِ بِبَعضِها، التي نتوَصَّلُ إليها

(١) الحديث أخرجه: الطيالسي (أبو داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود (ت ٢٠٤هـ) في مسنده، حديث رقم (٢١٢٦)، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، وابن حبان (أَبُو حَاتِمٍ، مُحَمَّدُ بنُ حِبَّان بنِ أَحْمَدَ بنِ حِبَّان التَّمِيْمِيُّ الدَّارِمِيُّ البُسْتِيُّ. (ت٣٥٤هـ) في صحيحه، تحقيق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم – بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ –٢٠١٢م، حديث رقم (٩٧١).

(٢) البخاري، صحيحه، بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حديث رقم ٣٣٠٥.

(٣) يُراجَعُ": ثامر، فاضل، اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، طبعة المركز الثقافي العربيّ، بيروت، ١٩٩٤م، ١٨٥.

عبرَ الأَثَرِ... ومِنْ ثَمَّ؛ فهُو الحِكَايَةُ؛ كما يُفترضُ أنَّها حدثَتْ في الوَاقِعِ.

أمَّا المَبْنَى فهُو التَّجلِّي الكتَابِيُّ لعَنَاصِرِ المَتْنِ، أيْ إنّهُ منتجٌ لُغَوِيٌّ بحت" [١].

تَتَعَدَدُ الأَصْواتُ السَّرْدِيَّةُ في هذينِ النَّصّينِ، فالسَّارِدُ الأَوَّلُ هوَ صَاحبُ الخَبَرِ، أَوِ القِصَّةِ الإطَارِ؛ وهُو النَّبيُّ(ﷺ).

وَمِنَ المُلَاحَظِ في بِنَاءِ الحدَثِ في هذينِ الحَدِيثينِ أنَّ البدايةَ عبارةٌ عَن قصَّةٍ عامَّةٍ، تُسمَّى في التَحْلِيلِ النَّصّيّ بـ "القِصَّةِ الإطَارِ"، وبدَاخِلِها عدَّةُ قَصصٍ فَرعيَّةٍ، تُسْهِمُ في تَكوِينِ الدَّلَالَةِ الأَسَاسِيَّةِ.

ففِي "قصَّةِ أَصحَابِ الغَار" نَجِدُ أنَّ القِصَّةَ الإطارَ تَبدأُ مِن قَولِهِ:

"انطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبلَكُمْ حتَّى أَوَاهُمُ المَبيتُ إلى غَارٍ؛ فدَخلُوهُ، فَانحَدَرَتْ صَخْرةٌ مِنَ الجبَلِ؛ فَسَدَّتْ عَلَيهِم الغارَ، فقَالُوا: إنَّهُ لا يُنجيكُم مِن هَذِهِ الصَّخْرةِ إلَّا أَنْ تَدعُو اللهَ بصَالِحِ أَعمَالِكُم".

ثُمَّ تَتَجلَّي القَصَصُ الفَرْعِيَّةُ في خَبَرِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنهُم عَنْ نَفسِهِ، ومِنْ ثَمَّ؛ تتعَدَّدُ الأصواتُ السَرْدِيَّةُ الدَّاخِلِيَّةُ، وكلُّها تتعلَّقُ بهَذَا المُفتتَح، ومنْ ثمَّ؛ فَهِيَ قَصَصٌ تُسْهِمُ في تكْوينِ البِنيَةِ السَرْدِيَّةِ الأُولَى للنَّصّ، وفي الوَقتِ ذاتِهِ تُسهِمُ في تَشكِيلِ الدَّلَالَةِ العامَّةِ للنَّصّ، وهِيَ أنَّ العَملَ الصَّالِحَ الذي رُزِقَ صَاحبُهُ فيهُ الإخلاصَ هُوَ بِمَنزلَةٍ خَبيئةٍ وعتادٍ مُهِمٍّ، ينْفَعُ صَاحبَهُ في وَقْتِ حَاجتِهِ إليهِ، فتكُونُ مجموعُ الأَصواتِ السَّارِدَةِ أَربعَةً؛ هُمْ صَاحِبُ الخَبَرِ؛ وهوَ النَّبيُّ (ﷺ)، ثمَّ الأصواتُ الدَّاخِلِيَّةُ، وهيَ الثَّلاثةُ الذينَ قصُّوا عَلينَا في بنَى أُقصُوصَاتٍ فنيَّةٍ حِكَايَةً صَغِيرةً تبلغُ حدَّ التَّعجيبِ في هَيئتِهَا، لكنَّها لا تَخرُجُ عَن حيّزِ المِصدَاقيَّةِ في صِحَّةِ مَضمُونِها، وبلْورَةِ دَلَالتِها.

– في حين نجِدُ في الحَدِيثِ الثَّاني أنَّ:

تأطيرَ الحَدِيثِ بإطَارٍ عَامٍّ، يَأتِي في قَولِهِ: "إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، بَدَا لِلَّهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا". ثُمَّ تتوَالَى القِصصُ الفَرعيَّةُ الثَّلاثُ في مَجِيءِ الملَكِ لكلِّ واحِدٍ منهُم قبْلَ رفعِ البلَاءِ، ثُمَّ حينَ الابتلاءِ؛ فتأتِي قصَّةُ الأَبْرَصِ، وقِصَّةُ الأَقْرَعِ، وقصَّةُ الأَعْمَى، مشتركةً جَميعًا في نوعِ الابتلَاءِ، وهوَ المُوَازَنَةُ بينَ العَطاءِ والمَنحِ من جهةٍ، وإنفاقُ هَذِهِ النِّعم في وجوهِها من جهةٍ أُخرَى، وكَيفَ أنَّ نَجَاةَ الأَعْمَى كَانَتْ مَرْهُونةً بِصِدْقِهِ، وَصَفاءِ سَريرَتِهِ، وإحْسَاسِهِ بِعَظيمِ النِّعْمَةِ، ووُجُوبِ شُكرِهَا، في حِينِ أَنَّ القِصَّتينِ الأُوليَينِ تَشْتَرِكَانِ في مَعانِي الجُحُودِ، والنُّكرَانِ، وشُحّ النَّفْسِ.

وتتجلى المخالفة بين النصين في أن أُسلُوبَ السَّرْدِ الحِكَائِيّ يَغْلبُ عَلَى النَّصّ الأَوَّلِ، فَالسَّارِدُ الأَوَّلُ صَاحِبُ الخَبَر، (ﷺ)، يُسْلمُنَا إلى أَصواتٍ سَرْدِيَّةٍ دَاخليَّةٍ في بَيانِ أُطُرِ الحِكَايَةِ الفَرعيَّة، أمَّا النَّصُّ الثَّاني؛ فالصَّوتُ السَّرْديُّ الأَوَّلُ يتواصَلُ إلَى نِهَايةِ الحَدِيثِ مُمتزجًا بغلبةِ الأسلوبِ الحِواريّ بينَ المَلَكِ والثَّلَاثةِ المُبتلينَ مِن بنِي إسرَائيلَ. ويمكن بناء على ما سبق تأويل الأنساق الآتية:

أ_ أنساق المكان

المكانُ عُنصُرٌ رَئِيسٌ في تَشكِيلِ أَيَّةِ حِكَايَةٍ، وإذَا كانَ المكانُ في القِصَّةِ والرِّوايَةِ يحملُ مبدأَ الإيهَامِ بالوَاقِعِيَّةِ؛ فإنَّهُ في النَّصّ النَّبَوِيّ واقعيٌّ بالفعلِ، ومِن ثَمَّ يَحملُ دلالةً ثقافيَّةً ودلاليَّةً، تَتَضَمَّنُها بنيةُ الخَبرِ السَّرْديّ.

(١) ثامر، فاضل، اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، ١٨٥.

قالَ رولان بارت: "إنَّ النَّسَقَ المَكَانِيَّ هُو بالطَّبعِ نَسقٌ ثَقافيٌّ[١]"؛ لذَلِكَ فإنَّ دَلالَةَ المَكَانِ تَتَعَلَّقُ برَغْبَةِ السَّارِدِ في الكَشْفِ عنْ فَضَاءٍ مُكَوّنٍ لبنيَةِ الحِكَايَةِ السَّرْديَّةِ، ثُمَّ الرَّغْبَةِ في وَصْفِهِ، وإيضَاحِ ملَامِحِهِ، وذَلِكَ لتَكْوِينِ عُنصُرٍ مُهمٍّ مِنْ عَنَاصِرِ بِنيَةِ الحِكَايَةِ السَّرْديَّةِ، فيكونُ التَّلقّي مُضاءً بومضاتٍ كاشفَةٍ، يستنبِطُها مِن وَصفِ المَكَانِ.

فنُلاحِظُ أنَّ الغارَ في الحَدِيثِ الأوَّلِ هوَ الفَضَاءُ السَّرْديُّ للنَّصِّ، وهوَ الذي احتوَى الحدثَ الأساسيَّ في البنيَةِ الحِكَائِيّةِ، كمَا أنَّ الصِّفاتِ العَامَّةَ للغَارِ: الضّيقُ، والظُّلمَةُ، والوَحشَةُ، والعُزلةُ، وهيَ المَعانِي التي يحملُها القبرُ للمَوْتَى، وحينَما انْسَدَّ البابُ عليهِم فكَأنَّ القارئَ ذَهبَ بذِهْنهِ إلَى أنَّهُ رُبَّما كانَتْ هَذِهِ هيَ النِّهايةَ المحتومَةَ، وأنَّهُ لَا خَلَاصَ لَهُم مِنَ الهَلَاكِ المُحقَّقِ[٢].

ثُمَّ كَانَ الغَارُ هُوَ مَحلَّ المُناجَاةِ والانتقَالَاتِ الذِّهنيَّةِ لِكُلِّ شَخْصيَّةٍ من شَخْصِيَّاتِ النَّصِّ عَلَى حِدةٍ، فننتقلُ مِنَ الغَارِ إلى مَشهَدِ برِّ الوَالدينِ، ورَفضِهِ أنْ يَشْرَبَ قَبلَهُما أحدٌ، والصِّبيةُ يتضَاغُونَ عندَ قَدمهِ، ثمَّ نرتدُّ إلى الغارِ، حِينَمَا انفرجَتِ الصَّخْرةُ، لكِنْ بلَا نَجَاةٍ بَعدُ.

وَهَكَذا معَ الفَضَاءِ السَّرْدِيِّ المُختارِ منَ الشَّخْصيَّةِ الثَّانيةِ والثَّالثةِ، وفي كلِّ حينٍ نَرتدُّ إلى الغَارِ، إلَى أَنِ انفرجَتِ الصَّخْرةُ، وخَرَجُوا يَمشُونَ. فتلاشَتْ مَعانِي الضِّيقِ والعُزلةِ والظُّلْمَةِ، ليدلَّ الحَدِيثُ في نِهَايتِهِ عَلَى أنَّ العملَ الصَّالِحَ الذِي رُزِقَ الإنسَانُ فيهِ الإخلاصَ، رُبَّمَا كانَ سَببًا في الانتقَالِ مِن ضِيقٍ لسَعةٍ، ومِن ظُلمَةٍ لنُورٍ، ومِن وَحشَةٍ لأُنْسٍ، ومِن عُزلةٍ لحَياةٍ[٣].

تِلْكَ هيَ أَهمُّ مَلَامِحِ المَكَانِ في هَذَا النَّصِّ، وَهُوَ يُؤدِّي دَورًا لا يَقِلُّ أَهميَّةً عَن الشَّخْصيَّاتِ المُتَحدِّثَةِ، ولَا عَنِ الحَدَثِ المُختارِ، فالمَكَانُ بهَذِهِ الظِّلَالِ السَّرْديَّةِ، وما يُشَكِّلُهُ من فَضَاءٍ حِكَائيٍّ يَحمِلُ كَثيرًا منَ الدَّلالاتِ المُهمَّةِ التي يُقدِّمُها هَذَا النَّصُّ للقارئِ.

ويُمكنُ استخلاصُ أهمِّ سِماتِ الفَضَاءِ المَكَانِيّ فيمَا يأتِي:

١- الوَاقِعِيَّةُ

يُقْصَدُ بالوَاقِعِيَّةِ أنَّهَا أَمَاكنُ لهَا وُجُودٌ في الوَاقِعِ الخَارِجِيّ، فالخَبَرُ عَنها جَاءَ عَنْ طَرِيقِ الوَحْيِ.

ففِي الحَدِيثِ الأوَّلِ نَجِدُ أنَّ الفَضَاءَ المَكَانِيّ هو "الغارُ"، وهُو غارٌ حقيقيٌّ، كانَ مظنَّةَ النَّجاةِ في بَدءِ الحَدِيثِ أَصبحَ سَبَبًا لمُشَارَفَةِ الهلَاكِ بَعدَ انسِدَادِ البَابِ عَليهِم، ثمَّ تأتِي الانفِراجَةُ بِمَا تَجْعَلُ الغَارَ رَمْزًا لشِدَّةِ الابتِلَاءِ، وانسِدَادِ الأُفُقِ، وفَقْدِ الأَسبابِ، والتَّجرُّدِ منْ حَولِ الشَّخْصِ وقُوَّتِهِ إلَى حَولِ اللهِ وقُوَّتِهِ.

٢. مُجَاوَزةُ المَألُوفِ

نَلْمَحُ أنَّ الشَّخْصيَّةَ الأُولَى فِي حَديثِ أَصحَابِ الغَارِ، تصِفُ شدَّةَ برّها بوالدِيهَا؛ بِأَنَّها لَا تُقدِّمُ عليهِما أَحَدًا فِي شَرَابٍ أَو عَطيَّةٍ، وقدْ أسهمَ وصفُ المكانِ في تَشكيلِ هَذِهِ الجُزئيَّةِ حينَ قَالَتْ: "والصِّبيَةُ يتضاغُونَ عندَ قَدِمِي".

وهَذَا فيهِ إشارةٌ إلى تجَاوزِ هَذَا الرَّجُلِ عَاطِفةَ الأبوَّةِ وسَيطرتِها عَلَى النَّفسِ، إيثارًا لوالديهِ، وتقديمًا لهُما، لذا كانَ الغَريبُ الحَسَنُ سَببًا في أَحْدَاثِ الأَغربِ منهُ، والمعجزُ في الوقتِ ذاتِهِ، وهوَ انفرَاجُ الصَّخْرَةِ.

(١) بارت، رولان، التحليل النصي، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار التكوين، سوريا ٢٠٠٩م، ٣٨.

(٢) يُراجَعُ: سبعي، جبريل، في التذوق الجمالي لقصة أصحاب الغار، دار الأخبار، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ، ٤٣.

(٣) السابق نفسه، ٤٢.

ثمَّ إنَّ الشَّخْصيَّةَ الثَّالثةَ منْ أَصْحَابِ الغَارِ ثَمَّنَتِ المَالَ حتّى أَصبحَ مِلءَ وادٍ مِن الأنعامِ وغيرِها، وذَلِكَ في قَولِهِ: "كلّ ما ترَى مِن أَجْرِكَ".

وهَذَا مثارُ استغرابٍ آخَرَ؛ إذْ كيفَ يَتنازَلُ عَنْ هَذَا الكَمِّ في الوَقتِ الذي كانَ يكفيهِ أنْ يُعطِيَ الأَجيرَ قَدرَ أَجْرِهِ السَّابقِ فَحَسبُ، أَو يزيدهُ قَلِيلًا، أمَّا أَنْ يَتَنَازَلَ عَن كُلِّ ذَلِكَ؛ فَفِيهِ تَجَاوُزٌ لمَأْلُوفِ البَشَرِ، ولِذَا كَانَ سَببًا للنَّجَاةِ.

ب_ أنساق الزَّمَانِ

يَنقسِمُ الزَّمَنُ في تَحْلِيلِ الخَبَرِ السَّرْديِّ ثَلَاثةَ أَقسَامٍ[١]:

- الزَّمَنُ الفيزيائيُّ:

وهُوَ الزَّمَنُ الخَارِجِيُّ الَّذِي يَحدُثُ بِتَعاقُبِ اللَّيلِ والنَّهَارِ، ويُسَمِّيهِ بعضُ الباحِثينَ بالزَّمَنِ الدَّورِيِّ[٢].

- الزَّمَنُ اللِّسَانِيّ:

يَرتبِطُ بالكَلَامِ أَوِ الحِوَارِ، وهُو نَوْعَانِ: زَمَنُ السَّرْدِ؛ وهُو الّذي يَتَلبّثُ بالحُضُورِ، وزَمَنُ الحَكْيِ؛ وهُوَ الزَّمَنُ المُنقَضِي.

- الزَّمَنُ النَّفْسِيُّ:

وهُو الخاصُّ بطبيعةِ الحَكْيِ الأَدَبِيّ؛ إذْ يتعلَّقُ بالمَوقفِ النَّفْسِيّ مِنَ المَاضِي إلى الحَاضِرِ، ويَظْهرُ في المُونولوجاتِ أي الحواراتِ الدَّاخِلِيَّةِ، التي يعرضُ من خلالِها البطلُ هوَاجسَهُ، ورُؤَاهُ وَأَحَاسِيسَهُ.

كما أنَّ مُسْتَوَياتِ الزَّمَنِ في الحِكَايَةِ السَّرْدِيَّةِ تَنْقسِمُ إلى: زمَنِ القِصَّةِ، وزمَنِ النَّصّ، وزمنِ السَّرْدِ:

- الأوَّلُ: زَمَنُ القِصَّةِ: يَتَعلَّقُ بعمليَّةِ القَصّ.
- الثَّاني: زَمَنُ النَّصّ: يَتَعلَّقُ بِزَمَنِ الأَحْدَاث في القِصَّة.
- الثَّالثُ: زَمَنُ السَّرْدِ: يَتعَلَّقُ بالدَّلَالَةِ[٣].

٢ السرد الذهني وشعرية القياس التاريخي

بناء على ما سبق، نلاحظ أن سردية النصين معا بمثابة سرد ذهني قيمي يتم فيه التحويل، في الحكاية المنطلق (السرد الإطار)، والسرد الفرعي (التوليد السردي)، داخل أنساق للبرامج الحكائية المتناسلة؛ إذ يتناسل السرد وفضاءاته، ليولد أزمنة وأمكنة مركبة للعبرة التاريخية عبر قياس الغائب على الحاضر، وما يحمله ذلك من دلالات موحية ومولدة...فالصخرة والغار والبرص وغيرها من الوحدات المعجمية تمثل معادلات للقيم الإسلامية السمحة التي يبحث عنها الراوي في كل متوالية سردية من متواليات الرواية.

المرسل ⟸ **الموضوع** ⟸ **المرسل إليه**

الرسول ⟸ القيم الإسلامية الجديدة ⟸ المسلم وغير المسلم

لنعد، إذن إلى نص الحديثين الشريفين بوصفهما خطابين يحملان رسالة موجهة من منتج إلى قارئ أي من مرسِل إلى مرسَل إليه. ولهذا الاعتبار أساسه المنهجي، ذلك أن كل خطاب لا ينشأ ولا ينمو إلا داخل مقصدية وتفاعل؛ حيث تنسج علاقة الذات المتلفظة بالمناخ الاجتماعي والثقافي؛ أي بناء الدعوة الإسلامية وتعزيز هويتها المحلية والعالمية في سياق مشحون مع الآخر الكافر أو

(١) يُراجَعُ: شلق، علي، الزمان في الفكر العربي والعالمي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م، ١٨، وما بعدها. د. مراد عبدالرحمن مبروك، بناء الزمن في الرِّوَايَة المعاصرة. رواية تيار الوعي نموذجًا (١٩٦٧– ١٩٩٤م) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ١٩.

(٢) يُراجَعُ: شلق، علي، الزمان في الفكر العربي والعالمي: ١٨، وما بعدها. د. مراد عبدالرحمن مبروك، بناء الزمن في الرِّوَايَة المعاصرة. رواية تيار الوعي نموذجًا، ١٩. بونية النص السَّرْدي، حميد لحمداني، المركز العربي للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩١م، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م/ ٧٣.

(٣) يُراجَعُ: لحمداني، حميد، بنية النص السَّرْدي، ٧٣.

المرتد، وهو ما يقودنا إلى استكشاف البعد التاريخي والحضاري " للرسالة " أو بحسب تعبير " غريماس " استكشاف " معنى المعنى " الرسالة:

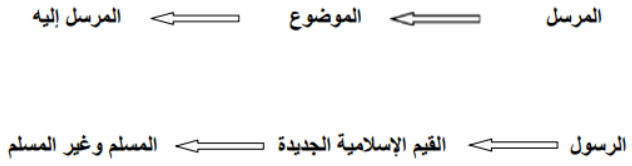

تمثيل تلقي خطاب الحديث

من هنا نتساءل، ما هي طبيعة التحويل داخل بنية الحديثين؟

أنساق التحويل في خطاب الحديث هي أنساق ذهنية في البنية العميقة، لكن التمظهر السردي، في البنية السطحية، تارة متخيل وتارة أخرى عجائبي أو واقعي.

فنحن عادة ما نكون أمام حالة أولية تشكل بداية زمن القص، والاتصال بزمن الذاكرة متخذًا سمة زمن منفتح على فضاءات الذاكرة التاريخية للسارد؛ الرجل ووالديه، الصخرة والغار وهي برمتها علامات سيميائية مشحونة بدينامية التأويل الذي يركز على مؤولة مركزية هي: (النجاة في الخطاب الإسلامي) التي يمكن اعتبارها حالة نهائية كذلك في البنية الذهنية العميقة للتحويل.

من ثم، ونظرا لتداخل الحكي في الحديثين يعد التحويل في خطاب الحديثين ذو طبيعة تحويلية سلمية كالآتي:

أ_ التحويل السلمي:

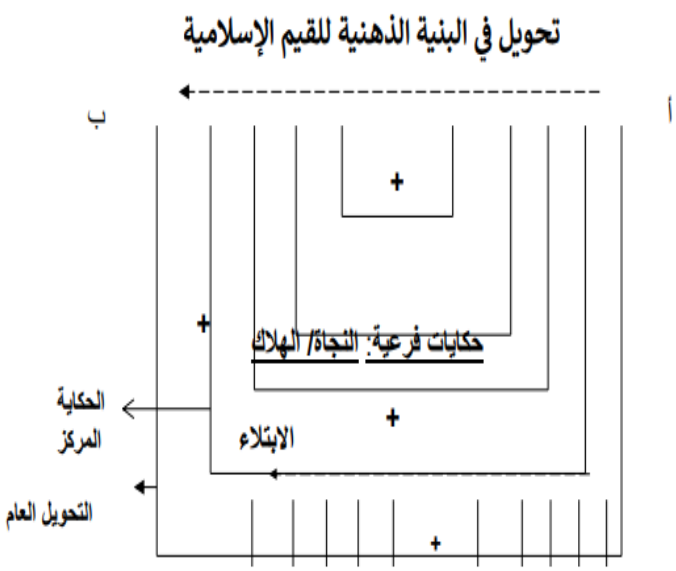

تمثيل التحويلات السلمية

هذا هو التحويل العام الذي يحوي "الحكاية المركزية في الحديثين"، فما هو محورها الدلالي؟ ثم ما هي المجريات الحكائية الأساسية التي تشكل " حلقات " داخل التحويل العام؟ (جدلية الهلاك والنجاة)؟

إن فضاء "الغار" على سبيل المثال، ذو رمزية سيميائية في الثقافة الإسلامية (غار حراء= النجاة) (غار ثور = نزول الوحي) حيث تجري فيه الأحداث والقيم على حد سواء، ويحيل عبر حكايات "العمل الصالح" لكل من في الغار على عناصر صراع غير متجانسة: البشر والحجر(الصخرة) كما يحتضن بين نار الصراع: الخلاص والهلاك. وبتعدد هذه العناصر المتناقضة نجد أنفسنا أمام خطاب نبوي متعدد الأصوات.

ب_ تعدد الأصوات

- صوت الراوي
- صوت الشخصيات
- صوت الأحداث

- صوت القيم
- صوت الخيال والغرائبي، وغيرها من الأصوات التي تضع أيدينا على محورين أساسيين يتحكمان في بنية الصراع وجدليته، إنهما:

محور الرغبة، ومحور السلطة؛ ذلك أن الحديثين الشريفين يعرفان داخل بنيتهما الحكائية، مجريين حكائيين يسيران جنبا إلى جنب، ليكونا في النهاية دلالة واحدة.

فهناك مجرى حكاية الشخصيات، الأبرص والأقرع والأعمى، والشخصيات الثلاثة في الغار؛ حيث الوصف كذلك له وظيفته الأساسية في إضاءة الأحداث المتعاقبة واللاحقة بحيث يشدنا إلى ترقب شخصيتها وحكايتها داخل تراكم الحدث المحكي.

ثم المجرى الثاني: مجرى الحكاية الذهنية أي حكاية القيم بين الماضي والحاضر؛ البر بالوالدين، القناعة والطمع والجشع وغيرها. وهي مؤشرات يتناسل عنها الخلاص كما الهلاك في بنية دائرية منفتحة. بل تختلط حكايات الأنا بحكايات الأولين والمحدثين والتاريخ والحاضر والمستقبل.

هكذا، تؤشر تمفصلات الحكي وتداخل الحكايات مع بعضها بعض في الخطابين على حوارية عميقة متعددة الأصوات حيث يبحث فيهما الراوي عن توازن المسلم أي حلم الحياة ومن ثم الخلاص من العذاب.

وفي الحوارية ذاتها بين الخطابين تتلاحق الأحداث بما فيها الأحداث الذهنية (رسالة خلاص المسلم عبر قيم الشخصيات_العوامل)، فيدرك المتلقي كيف تتحول مقصديات العوامل وسلوكياتهم إلى عامل للربح أو الخسارة في دنيا مليئة بالمتناقضات.

ولما كان الأقرع والأعمى والأبرص بمثابة عوامل ذهنية قيمية، كما شرحنا آنفا، فإن كل عنصر أو مكون أو حدث داخل تجربة كل واحد منهم يمثل بالنسبة لهم فاعلا – مضادا ما دامت الرغبة في الانعتاق من الابتلاء ليست حكرا على واحد دون الآخر.

هذه الرغبة في الانعتاق، لا يمكن أن تنمو وتتأجج في غياب "المعيق" أي في غياب سلطة مضادة، حيث نجد في الخطابين، محورًا ثانيًا هو محور السلطة؛ سلطة الجشع التي تلعب دور المعيق الذي يحول بين العوامل_ الشخصيات الذهنية، وتخلصهم من الابتلاء الرباني بل وبين تحقيق رغباتهم وأحلامهم.

فسلطة الطمع، وتفضيل الدنيا على الآخرة هي حالات ذهنية لهذا المعيق الذي يتخذ أبعادًا تاريخية وواقعية وعجائبية ودينية تمثل خليطا متناغما من الفرج واليأس والهلاك والنجاة.

٣_ المحور الدلالي لحكاية الحديث

يمكن أن نوضح علاقة التضاد بين العوامل والقيم فيما يأتي:

بتداخل علاقتي الرغبة والسلطة، عبر المجرى الحكائي العام، يتأسس المحور الدلالي لحكاية الحديث النبوي في شكل تحويل من حالة أولية هي حالة ابتلاء إلى حالة يأس وهلاك أو إلى حالة خلاص ونجاة. إنه المخاض في بنية المربع السيميائي الذي يسم معظم خطابات الحديث النبوي، حيث ينتظر المتلقي بشوق كيف ينتهي القص وبأي معنى.

جاء في لسان العرب، مادة "م خ ض" ما يأتي:

«والمخاض" وجع الولادة "، وقال ابن الأعرابي، ناقة ماخض، وشاة ماخض، وامرأة ماخض، إذا دنا ولادها، وقد أخذها الطلق والمخاض ... وتمخض اللبن وامتخض

أي تحرك في الممخضة، وكذلك الولد إذا تحرك في بطن الحامل» [١].

إن بين هذه المعاني اللغوية دلالات مشتركة هي: – الوجع والألم – دنو الولادة (الانتظار) – الحركة، وهي دلالات نلاحظ بأنها تطبع سير الأحداث ومن ثَمَّ أفعال الشخصيات، مما يعني وجود حالات مخاض تشوبها الرغبة، الألم، الحركة والانتظار، سرعان ما يفاجئنا " التحويل" بعكس ما نتوقع، فيحل الهلاك محل الخلاص أو يحصل العكس، فينتشر الفتور واليأس والموت في الفضاء برمته بعد طول انتظار ومعاناة، أو يعم الفرح والفرج وذلك بفعل تدخل فاعل هو السلطة؛ أي سلطة قيم القناعة أو البر بالوالدين أو الإيثار وغيرها...

وهذا ما يؤشر من جديد على الحوارية المتعددة الأصوات بين رواية الراوي وروايات الشخصيات العوامل التي وردت فيها حلقات سردية صغيرة وهي " الابتلاء بحالات في الجسم أو في الفضاء (الغار)" والتي تلخص الأحداث الذهنية وتكثفها:

فالعامل الذهني الابتلاء في حد ذاته رغبة للتخلص من عاهة أو سجن، تخفي توترًا داخليًّا يتنامى والإحساس بضرورة إزالة عائق مشوش هو" العيب الجسدي أو حالة الحصار "الذي تقابله حالة سلطات معيقة تسعى لسد حاجة أو نقص وحرمان من طرف الشخصيات_ العوامل التي وسمت حركتها الذهنية في الخطابين بتلك السلطات المتناقضة لتجسد الرغبة ومعيقها وتدخلها في الفعل الإرادي، بل ولتمهد لفعل الإنجاز؛ سواء أكان ذلك في اتجاه الخلاص أو الهلاك.

من هنا، فإن مقولتي (الابتلاء والخلاص أو الهلاك) يشكلان محورا دلاليا للحكاية في الحديثين النبويين. فكل حركة، كل ألم وانتظار يخوض غماره أبطال العاهات الجسدية، مثلا، ينتهي بإجهاض من طرف سلطة الجشع في حالة الهلاك، أو بنجاة في حالة عبور الاختبار الإلهي بنجاح.

وعبر قراءة المحور الدلالي في النَّصَّينِ النَّبَوِيَّينِ نُلَاحِظُ مَا يَأْتِي:

– النَّصُّ الأَوَّلُ:

الزَّمَنُ فيهِ أكثرُ عُمُوميَّةً مِنَ النَّصِّ الثَّاني، يَقُولُ: "انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ الْمبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجبلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا اللهَ تَعَالَى بِصَالِحِ أَعْمَالكُمْ "، فقَولُهُ: "مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ" هُوَ فَضَاءٌ عامٌّ غَيرُ مُختَصٍّ بزَمَنٍ مُعيَّنٍ.

بِخِلَافِ النَّصِّ الثَّانِي: "إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ" فهو يَعنِي زَمنًا خَاصًّا وإِنْ كَانَ في ذاتِهِ رَحبًا، وهوَ لا يخلُو مِنَ التَّداخُلِ بينَ الزَّمانِ والمَكَانِ والشَّخْصيَّاتِ، فزمنُ بني إسرائيلَ زمنٌ مُقَدَّرٌ، ومكانهُم مكانٌ مُقَدَّرٌ، وصفاتُ شخصيَّاتِهِم مُقَدَّرَةٌ، ففيهِ مِنَ المُكاشَفةِ الزَّمانِيَّةِ والمَكَانِيّةِ ما ليسَ في النَّصِّ الأَوَّلِ.

– يَتّكِئُ النَّصَّانِ عَلَى الزَّمَنِ المَاضِي:

في صِيغهِ ومُستويَاتهِ، والأقصُوصَاتُ الفرعيَّةُ التي تَسْرُدُها شَخْصِيَّاتُ القِصَّةِ الإطَارِ، ففي النَّصّ الأَوَّلِ نجدُ أنَّ المتكلِّمَ الأَوَّلَ يقولُ:" نأَى بِي طَلَبُ الشَّجرِ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْت لَهُمَا غبُوقَهمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمِيْنِ، فَكَرِهْت أَنْ أُوقظَهمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدِى أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ وَالصِّبْيَةُ يَتَضاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمي فَاسْتَيْقظَا فَشَرِبَا

(١) ابن منظور، جمال الدين بن مكرم، لسان العرب" المجلد الثالث، مادة: (م خ ض).

غَبُوقَهُمَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَة، فانْفَرَجَتْ شَيْئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ".

ويقُولُ الثَّاني: " أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ".

– يقُولُ الثَّالثُ: "... بَعدَ حِينٍ فَقالَ يَا عبدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى منْ أَجْرِكَ: مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَم وَالرَّقِيق فقالَ: يا عَبْدَ اللَّهِ لا تَسْتَهْزِيْ بي، فَقُلْتُ: لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فاسْتاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْه شَيْئًا".

وبمَا أنَّ هَذِهِ الشَّخْصيَّاتِ مُتَزامِنَةٌ، ويَجمعُها حَدثٌ واحدٌ" هوَ انغلاقُ الغارِ بالصَّخرة"، فيدلُّ سياقُ النَّصّ عَلَى أنَّ أعمارَهم متقاربةٌ لقولهِ: "فخَرجُوا يمشُونَ"، فالنَّتيجَةُ أنَّ كُلَّ هَذِهِ الأَحْدَاثِ تَدورُ في فلَكٍ زَمنيٍّ متقاربٍ، وهَذَا كلُّهُ تابعٌ لزمنِ النَّصّ؛ أي زَمَنَ الأَحْدَاثِ في الخبَرِ، ومِن ثَمَّ؛ فَهُوَ زَمَنٌ مُتدَاخِلٌ تَكثُرُ فيهِ الاسترجَاعَاتُ.

أمَّا النَّصُّ الثَّانِي:

فَتكثُرُ، كذَلِكَ، صِيَغُ الزَّمَن المَاضِي "فبَعَثَ إليهِم مَلَكًا، فأتَى الأَبْرَصُ، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ فَأُعْطِيَ، فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، وَأَتَى الأَقْرَعُ... إلخ". وهُنا يَستَعملُ النَّصُّ السَّرْديُّ ما نُسمّيهِ الارتِدادَ إلى الوَراءِ، ويتَجلَّى هَذَا مِن خِلَالِ قولِ الأَعْمَى مَثلًا: "قدْ كنتُ أَعْمَى فَردَّ اللهُ بَصَرِي، وفَقِيرًا فأغنَانِي"، وهي صِيغَةٌ زَمَنِيَّةٌ تَرتَبطُ في إطَارِهَا العَامّ بالجَانِبِ الوَعظِيّ الَّذي يَحمِلُهُ الحَدِيثُ، حيثُ قصديَّةُ التَّذكيرِ والتَّلقينِ، وبلُوغِ الغَايةِ الدِّينيَّةِ، لِذَا فإنَّ السَّرْدَ النَّبَوِيَّ يوظِّفُ تقنيَةَ الاستذكارِ والاسترجاعِ لوَضعِ العِبْرةِ بَينَ يدِي القارِئِ.

إنَّ النَّصّينِ السَّرْديّينِ يُخْبِرانِ عَن بنياتٍ حِكائيَّةٍ تَتَّصِلُ بالمَاضِي "فِيمَنْ كانَ قبلَكُم"، و"مِن بَنِي إسرائيلَ"، ومِن ثَمَّ؛ فغَلَبةُ صِيَغِ المَاضِي في النص هوَ أُفق انتظارٍ يَحصلُ مِنَ المُتَلَقِّي، إذْ إنَّ هَذَا الاِسْتِدْعاءَ يَحمِلُ مِنَ السَّارِدِ الأَوَّلِ قِيمًا تعليميَّةً، حيثُ يكشفُ لنا لوحةً تاريخيَّةً قديمةً، لكِنَّها مُحمَّلةً بالمسكُوناتِ الثَّقافيَّةِ، والقيمِ الأَدَبِيّةِ والدِّينيَّة.

"وإِذَا كانتِ الزَّمَنِيَّةُ القَصَصِيَّةُ متَّصِلةً بزمنِ الخِطَابِ مِن حيثُ العلاقةُ بينَ زمنِ الملفوظِ وزمَنِ التَّلَفُّظِ، فَإنَّ تعَدُّدَ المُستوَياتِ الخِطَابيَّةِ التي تتجلَّى في كلّ أثرٍ قَصَصيٍّ يجعلُ الزَّمَنِيَّةَ القَصَصِيَّةَ متعَدِّدَةَ الوُجُوهِ[1]".

– تَنوُّعُ صِيغَةُ المَاضِي في بِنَاءِ الخَبَرِ السَّرْدِيّ:

مَعَ إقرارِنَا بأَنَّ بنيَةَ الزَّمَنِ في النَّصّينِ قدْ غلبَ عَليهَا استِعمَالُ الفِعْلِ المَاضِي، مُناسِبةً لِطَبيعَةِ الحَكْي، لكنَّ المُلَاحَظَ، كذَلِكَ، أنَّ الماضِي قدْ أدَّى عدَّةَ وظائفَ وفق سِيَاقِ كُلِّ نَصٍّ، وبالرغم من تكرار الفِعل الماضِي في النَّصّ فإنَّ كُلَّ بنيَةٍ قَد اِحتفظَتْ لِنفسِهَا بخَصَائصَ دَلاليَّةٍ، تَنتجُ عَبرَ فضَاءِ الماضِي تبعًا لرسمِ الحَدَثِ، وبِنَاءِ الشَّخْصيَّاتِ.

فَفِي حَدِيثِ "أصحَابِ الغَارِ" بَدأَ النَّصُّ بـ" أَوَاهُمُ المبيتُ إلى غَارٍ، دَخلُوهُ، انحدرَتْ صَخْرةٌ، فَسدّتْ "...إلخ، ثُمَّ تبدأُ أَخبارُ كُلِّ نَفَرٍ مِنَ الثَّلاثَةِ عنْ نَفسِهِ، وبِمَا أنَّ التَّوسُّلَ بالعَمَلِ الصَّالِح هُوَ المطيَّةُ التي يَمتطِيها كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُم ابتِغاءَ كَشْفِ الكَرْبِ الذي نَزلَ بهِم، فإنَّ استِعمَالَ المَاضِي يَكشِفُ عَن تَجَرُّدِ النَّفسِ عنِ الحَاضِرِ، وتمثِّل ذهابِهِ، وفَواتِ بهجَتِهِ، وأنَّ استِدعاءَ الفعْلِ المَاضِي هوَ السَّبيلُ إلَى الإنقَاذِ منَ الحَاضِرِ المَاثِلِ.

بدَأَ الأوَّلُ: بـ " كَانَ لِي أَبَوانِ شَيْخَانِ كَبِيرانِ، وكُنْتُ لاَ أَغبِقُ قبْلَهما أَهْلًا وَلا مالًا فنأَى بِي طَلَبُ الشَّجرِ يَوْمًا فَلمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلبْت لَهُمَا غبُوقَهمَا فَوَجَدْتُهُمَا

(١) مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، دار محمد علي للنشر تونس، ٢٠١٠م،٢٤٠، ٢٤١.

نَائِمِيْنِ، فَكَرِهْت أَنْ أُوقظَهمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدِى أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ وَالصِّبْيَةُ يَتَضاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمي فَاسْتَيْقظَا فَشَربَا غَبُوقَهُمَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَة، فانْفَرَجَتْ شَيْئًا لا يَسْتَطيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ".

وذكَرَ الثَّاني "اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانتْ لِيَ ابْنَةُ عمٍّ كانتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، وفي رِوَايةٍ: كُنْتُ أُحِبُّهَا كَأَشدّ مَا يُحبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءِ، فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّى حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُها عِشْرينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّىَ بَيْنِى وَبَيْنَ نَفْسِهَا ففَعَلَت، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، وفي رِوَايةٍ؛ فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالتْ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الْخاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِىَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَترَكْتُ الذَّهَبَ الَّذي أَعْطَيتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فانفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا".

وَذكَرَ الثَّالثُ "اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجرَاءَ وَأَعْطَيْتُهمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذي لَّه وَذَهبَ فثمَّرت أَجْرَهُ حَتَّى كثرت منه الأموال فجاءَنِي بَعدَ حِينٍ فَقالَ يَا عبدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى منْ أَجْرِكَ: مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَم وَالرَّقِيق فقالَ: يا عَبْدَ اللَّهِ لا تَسْتهْزِيْ بي، فَقُلْتُ: لاَ أَسْتَهْزِي بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فاسْتاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْه شَيْئًا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فخرَجُوا يَمْشُونَ". وهذا ما يقودنا إلى تأويل وظائف الشخصيات في علاقتها بالمتلقي.

٤ _ الشخصية والتلقي المصاحب:

الشَّخْصيَّةُ في السَّرْد النَّبويّ هِيَ العُنْصُرُ الأَبْرزُ في حَمْلِ خُلَاصَةِ الحِكَايَةِ. وإذا كانتِ الشَّخْصيَّاتُ في السَّرْدِ القَصصِيّ والرِّوائيّ تقومُ عَلَى جانبِ التَّخييلِ في وُجُودِها أو بِنائِها أو رَسمِ مَلَامِحِها، فإنَّ الأمرَ يختلفُ تمامًا في السَّرْدِ النَّبَوِيّ؛ حيثُ الصِّدقُ في الإخبارِ عَنْها، واستِلهَامِ العِظَةِ والعِبْرَةِ مِنْ أقوالِها وَمَواقِفِها في بنيةِ الخَبَرِ السَّرْديّ. إنَّ للشَّخْصِيَّةِ دَورًا رَئِيسًا في تَكوِينِ السَّرْدِ عَامَّةً، وَبِنَائِهِ؛ إِذْ تُشَكِّلُ بُؤْرَتَهُ المَرْكَزِيَّةَ؛ فلا يُمْكِنُنَا تَجَاوزُها مطلقًا، أَو تَجَاوزُ مركزيّتَها في السّردِ [١].

والشَّخْصِيَّةُ هِيَ المَبدَأُ الأَسَاسُ في اِنْسِجَامِ عَنَاصِرِ السَّردِ وائتلافِها[٢]؛ فالفِكْرةُ المركزيَّةُ السّرديَّةُ لا تَحْيَا إِلَّا مِنْ خِلَالِهَا، ولا تُوجَدُ اللُّغَةُ إِلَّا بِها، وَلَا يُنْجَزُ الحَدَثُ إِلَّا بِتَحرُّكِهَا، كَما لا تَظهرُ قِيمةُ الزَّمَانِ، ولا المَكَانِ إِلَّا مِنْ خِلَالِ ارتباطِهِما بِبنيةِ الشَّخصيَّةِ؛ فَهيَ المُترجمُ لرُؤْيَةِ السَّاردِ، وَالوَسيطُ الذي بينهُ وبينَ المُتلقِّي لإيصَالِ أَفْكَارِهِ التي يَتَغيَّاها مِن سَرْدِهِ، وقد يَجِدُ المُتَلقِّي نَفْسَهُ في شَخْصِيَّةٍ من شَخْصِيَّاتِ السَّرْدِ؛ فيَتَلَهَّفُ لمُتَابَعتِهِ، ومَعْرِفَةِ المَصِيرِ الذي آلتْ إِلَيهِ الشَّخصيَّةُ.

هَذَا التَّلهُّفُ، أوِ الانجِذَابُ، مِن مُحفِّزَاتِ المُتَابَعَةِ مِنَ المُتلقِّي لِشَخْصيَّاتِ السَّردِ التي تَؤولُ، جَمِيعُها بالضَّرُورَة، إلى بقَاءِ السَّردِ في ذِهْنِهِ زَمَنًا أَطْولَ؛ إِذ يرتبطُ شُعُورُها بأَحَاسِيسُهِ الشَّخْصِيَّةِ، ويَشعُرُ بما تَشْعُرُ بهِ في السَّردِ، ويعقدُ عَلَاقَةً ما مَعَهَا؛ فَيَصْعُبُ عَلَيهِ نِسْيَانُهَا، أَوْ تَجَاوزُها حَياتَهُ بسهُولَةٍ.

وَمِن ثَمَّ؛ فَلِلشَّخْصِيَّةِ وطَرِيقَةِ بِنَائِهَا قُدْرَةٌ عَلَى إِثَارةِ المُتلقِّي، وجَذبهِ للمُتابَعَةِ وللتَّفَاعُلِ مَعَهَا، كَمَا تُعَدُّ

(١) يُراجَعُ: صالح، صلاح، سرد الآخر: الأنا والآخر عبر اللغة السَّرْديّة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ١٠١.

(٢) يُراجَعُ: قسومة، الصادق، علم السَّرْد (المحتوى والخِطَاب والدلالة)، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرِّيَاض، ط١، ١٤٣٠هـ، ١٧٧.

الشَّخْصِيَّةُ، أَيضًا، مِقْيَاسًا لِلحُكمِ على فَحْوَى السَّرْدِ [١]؛ إذِ يرْتَبِطُ السَّرْدِ بمَصِيرِ الشَّخْصِيَّاتِ وَطَرِيقَةِ بِنَائِهَا، والعَلَاقاتِ بينَها.

ومِن هُنا؛ يَتَجَاوزُ بعضُ الدَّارِسِينَ مَسأَلةَ أَهَمِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ في السَّردِ إلى أهميتِها لَدَى المتلقّي، فغدت ذات مَنزِلةٍ اسْتِراتِيجيَّةٍ؛ بوصفِهَا ملتقَى السّاردِ والمسْرُودِ لهُ جميعًا؛ كما يَرى "قيري" [٢].

ومنْ ثمَّ؛ فشَخصيَّاتُ الخَبرِ النَّبَويّ شَخصِيَّاتٌ مَركزيَّةٌ، مُتفَاعِلَةٌ، لهَا أقْوالٌ تأتي عَبرَ تِقنيَةِ الحِوَارِ.

ويُلَاحَظُ أَنَّ شَخصيَّاتِ النَّصِّ الأَوَّلِ "أَصْحَابُ الغَارِ" جَمِيعَها مُتوافقَةٌ في كَونِها ذاتَ خبيئَةٍ مِن عَمَلٍ صَالِحٍ، ولمْ يشذّ عَنها أَحَدٌ، ومِن ثمَّ توافقَتْ جَميعُها في سَوقِ الحَدِيثِ للقِيمَةِ الدِّينيَّةِ التي يتَضمَّنُها ويُشيرُ إليها، ومِن ثمَّ اتَّسَمَ البِنَاءُ القَصصِيُّ فيها بالوَحدةِ والتَّماسُكِ، وأدتِ الشَّخْصيَّاتُ باتّزانِها وكَلَامِها إلى مقصُودِ النَّصِّ ودَلالتِهِ الرئيسةِ.

أمَّا الحَدِيثُ الثَّاني فَظلَّتِ الشَّخْصيَّاتُ متَّسقةً إلى أنْ خَالفَ الأَعْمَى ما ذَهَبَ إليهِ صَاحباهُ في النَّصّ؛ إذْ رفَضَا أن ينعَمَا عَلَى سائِلٍ فَقيرٍ ببعضِ ما أفاءَ اللهُ عليهما، أمَّا الأَعْمَى فكسَرَ التَّوقُّعَ، وخالفَ أُفُقَ الظَّنِّ، وأَضَافَ للنَّصِّ عُنصُرَ المُفَاجأَةِ والدَّهشَة، بمَا أَضْفاهُ عَلَى النَّصّ مِن قيمةٍ خلقيَّةٍ. وهَذَا مَلمَحٌ مِنَ المَلَامِحِ التِي اختَلفَتْ فيهَا شَخصيَّاتُ الحَدِيثِ الأوَّلِ عنِ الحَدِيثِ الثَّانِي.

وللصُّورةِ الأَدَبيَّةِ دَورٌ كَبيرٌ في تَشكِيلِ شخصيات النَّصّ السَّرْديّ ولغته، حيثُ إنَّ العَنَاصِرَ المجازيَّةَ والتَّخْييلِيَّةَ تكُونُ فَضَاءً دلاليًّا في الخِطَابِ؛ "إذْ يُمكنُ لكَلِمَةٍ وَاحِدةٍ أنْ تحملَ مَعنيينِ تقُولُ البلَاغَةُ عنْ أَحَدِهِما بأَنَّهُ حَقيقيٌّ، وعنِ الآخَرِ بأَنَّهُ مَجَازيٌّ، هُناكَ إذًا فَضاءٌ دَلالِيٌّ يتَأَسَّسُ بينَ المدلُولِ المجازيّ والمدلُولِ الحَقِيقيّ، وهَذَا الفَضَاءُ مِن شَأنهِ أنْ يلغيَ الوجُودَ الوَحيدَ للامتَدَادِ الخَطِّيّ للخِطَابِ[٣]".

كمَا قدْ يتَشكَّلُ الخِطَابُ السَّرْديُّ مِنَ التَّقريريَّةِ السَّرْديَّةِ، أو الشِّعريَّةِ، أو من امتزاجِهِما مَعًا، والنَّصُّ السَّرْديُّ الباقي هو الذي يَمتدُّ برَحَابتِهِ في مُخيّلةِ الإنسانِ وعُمرِهِ؛ وَيحتفظُ لنفسِهِ بالبَقاءِ عَبرَ الخَصَائصِ المُمَيِّزَةِ لِلُّغَةِ، والصُّورةِ التي يودِعُها السَّارِدِ في حُرُوفِ سَرْدِهِ.

والصُّورَةُ المُتحَرِّكَةُ هِيَ التِي تُصوِّرُ الحَدَثَ، وتُبرِزُهُ أمامَ المتلقّينَ في عَرضٍ مَشْهَديّ دِرَاميٍّ مُجسّدٍ، تَكُونُ الصُّورَةُ فيهِ وَصْفيَّةً سَرْدِيَّةً مُتحَرِّكَةً زَمَنِيّةً [٤]. تبدُو فيها الأَفْعَالُ وَكَأَنَّهَا تَجْري أَمامَ أعينِ مُتَلَقّيها لَحْظَةَ حُدوثِهَا؛ وَهُوَ مِمَّا يُشْعِرُهُ بالمُشاركَةِ في الحَدَثِ، ويجذبهُ لمُتَابَعَتِهِ[٥] ويُبقِي الأَحدَاثَ في ذِهنِهِ مدَّةً طوِيلَةٍ.

وَمِن أجلِ هَذَا الدَّورِ المَركَزيّ لِلُّغَةِ التي يَعْتَنِي السَّارِدُ في تَوظيفِها في المواقفِ والأَحْدَاثِ الأكثرِ دَلَالةً وَأَهَمِّيَّةً، وفي الكَشْفِ عَنِ الشَّخْصِيَّاتِ، وبثِّ التلقائيَّةِ والحَيَوِيَّة في السَّرْدِ، وتَحقيقِ توَازنِهِ[٦]؛ إذْ تَجيءُ مُشتركةً معَ مُستوياتِ اللُّغَةِ كافَّةً؛ لتُحقِّقَ التَّكامُلَ الذي يُستَخدَمُ فيه كلُّ مُسْتَوَى في المَوضعِ المُنَاسِب، دون تزاحمٍ، أو إقصاءٍ لمُسْتَوَى دونَ آخرَ حَسبَ مُتطلَّباتِ الجَمَالِ، وقَواعدِ السَّردِ.

وَقدْ كَانَ خِطَابُ النَّبيّ (ﷺ) مِن أَقدرِ الخِطَاباتِ عَلَى الاحتفاظِ بالبقَاءِ بمَا لَهُ مِن خَصَائصَ أُسلُوبيَّةٍ وتَصويريَّةٍ،

(١) يُراجَعُ: خليل، إبراهيم، بنية النص الروائي، ١٧٣، حنا مينة، فريال كامل سماحة، رسم الشَّخْصِيَّة في روايات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ١٩.

(٢) يُراجَعُ: قسومة، الصادق، علم السَّرْد (المحتوى والخِطَاب والدلالة)، ١٧٦.

(٣) حميد لحميداني، بنية النص السَّرْدي من منظور النقد الأدبي، ٦٠، ٦١.

(٤) يُراجَعُ: كوثر القاضي، شعرية السَّرْد في القِصَّة السعودية المعاصرة، ٣٦٥.

(٥) يُراجَعُ: بورنوف، رولان، عالم الرّوَايَة، ترجمة: نهاد التكرلي، ٥٤، ٥٥.

(٦) يُراجَعُ، السَّابِقُ، ٥٢، ٥٥، وبحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، ١٦٦.

ضَمِنَتْ لَهُ الأَلَقَ والاستِمرَارِيَّةَ عَبرَ تَوَالِي الزَّمَنِ وتَتابُعِ السِّنِينَ.

فمِنَ الصُّورِ التَّخْييلِيَّةِ التي تُؤدِّيها اللُّغَةُ في النَّصّ الأوَّل قَولهُ: "لا يُنجيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرةِ إلَّا أَنْ تَدعُوا اللهَ بصَالِحِ أعمالِكُم"، فالنَّصُّ يَجعلُ الكلَامَ والتَّضرُّعَ إلى السَّمَاءِ سببًا للنَّجاةِ منَ ابتلاعِ الكَهْفِ لهُم، وطَمْسِ حَاضِرِهم.

وقولهُ: "حتَّى ألمَّتْ بها سَنَةً"، وهَذَا فيهِ من المعانِي التَّخْييلِيَّةِ التي تحملُ دلالةَ الجَدبِ والقَحطِ، ممَّا اضطرَّها إلى المُسَاومَةِ، والعودةِ بعد الرَّفضِ، فكأنَّ النَّصّ يسوقُ دَلالةَ الاضطرارِ المُتلبّسِ بالخَوفِ مِن مَغبَّةِ الفِعْلِ، "تخلّي بيني وبين نَفسِها"، وعاقبةُ الانزلاقِ في مهَاوِي الرَّذِيلَةِ، وذَلِكَ في قَولِهَا: "لا تَفُضَّ الخَاتمَ إلَّا بِحقِّهِ".

وأما في النص الثاني فقد جَاءَتِ اللُّغَة لتُؤدِّي دَورًا تَخْييليًّا في بناء الشخصيات ووظائفها خاصة من حيث تَذَلُّلِ السَّائِلِ، وبَيَانِ شِدَّةِ حَاجَتِهِ، "فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ"، وهيَ لغةٌ تحملُ في طيّاتِها بُعْدًا اجتِمَاعيًّا وثقافيًّا وأخلاقيًّا، وترسمُ صورةَ البؤسِ الذي حلَّ بصاحبِ الطَّلبِ. فَيكُونُ الجوابُ: "الحقوقُ كَثيرةٌ "وهي جُملةٌ تَرسُمُ مَدَى شُحِّ النَّفْسِ، وشِدَّةِ الإمسَاكِ، مَعَ ما فِي العِبَارَةِ مِنَ اختِصَارٍ مُكثَّفٍ يَحْمِلُ مَعَانيَ كَثِيرَةً.

إلَّا أَنَّ الجَوابَ مَعَ الشَّخْصيَّةِ الثَّالثَةِ مُخْتلفٌ تَمَامًا عَمَّا كَانَ عَليهِ الحَالُ مَعَ الشَّخْصيتينِ الأُوْليَينِ؛" فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي" فَكَانَ الجَوابُ: "وَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ" وهَذَا يدلُّ عَلَى أنَّ الرَّجُلَ تَجاوَزَ البُخْلَ والتَّقتِيرَ إلى الكَرَمِ الضَّافِي، والعَطاءَ الذي لا حدَّ لهُ، إحساسًا منهُ بمَا منحهُ اللهُ مِن نِعَمٍ، وما أَفَاضَ عَلَيهِ مِنْ آلاءٍ.

كَمَا أنَّ اللُّغَةَ التَّقريريَّةَ المُدْهِشَةَ كَانَتْ تَتَخلَّلُ عَبرَ مَسَارِبِ الحَكْيِ، بِحَيثُ تَتَّضِحُ العِبَارَةُ، ولا تَضِيعُ دَلَالتُها في أَبعَادٍ غَامِضَةٍ، وَرَمْزيَّةٍ مُفْرِطَةٍ، وهكَذا غَالبُ البَيَانِ النَّبَوِيّ، وَاضِحٌ في إِخبَارِهِ، مُشَوّقٌ في إنشَائِهِ.

٥_ التمثل العجائبي

العَجَائِبِيُّ هُوَ: الأَمرُ الحَادِثُ الخَارِقُ للعَادةِ والمَأْلوفِ، والنُّقَّادُ يَستَعْمِلُونَ مُصْطَلَحَ العَجَائِبِيّ، ومُصْطَلَحَ الغَرائبيّ كذَلِكَ، وقد فرَّقَ بينهما أحدُ الباحثينَ بقَولهِ: "الغَرائبيُّ هُوَ حُدُوثُ أَحْدَاثٍ فوقَ طَبيعيَّةٍ، تنتهِي بتَفسير طَبيعيٍّ، في حِينِ أنَّ العَجَائبيَّ هو حُدُوثُ أَحْدَاثٍ طبيعيَّة تَنتهِي بِتَفسيرٍ فَوقَ الطَّبيعيّ[١].

وهَذَا لا يتَحقَّقُ بحَرفيَّتِهِ في الحَدِيثِ النَّبَوِيّ، لأنَّ التَّعجيبَ يقومُ عَلَى مُجَاوَزَةِ الوَاقِعِ وخَرقِ المَألُوفِ، وهَذَا غيرُ مُصدَّقٍ في مَنطِقِ البَشَرِ، لكِنَّ الأَمْرَ مُختَلِفٌ فِي تَلَقِّي حَدِيثِ النَّبيّ (ﷺ)؛ لِأَنَّهُ وَحْيٌ مِنَ الله تعالى، إلَّا أنَّ صَوغَ الخَبرِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ مِنَ التَّنوِيعِ في الأدَوَاتِ والوَسَائِلِ التي تَنزعُ نَحْوَ انفتَاحِ أُفُقِ التَّوقُّعِ لدَى المُتلقِّي، وتَنويعِ الأساليبِ النَّبَوِيَّةِ في سَردِ القَصصِ الوَعظيّ؛ وأسلوبِ السَّرْدِ التَّشْوِيقيّ، هوَ ما يَجْعلُ للخَبرِ العَجَائبيّ وَظِيفةً بَلِيغَةً في سَردِ الحِكَايَةِ.

فالحَدِيثُ الأَوَّلُ لهُ بِنيَةٌ عَامَّةٌ، تَتَضَمَّنُ ثَلَاثَ بنيَاتٍ حَكَائيَّةٍ عَجَائِبيَّةٍ في الأَحْدَاثِ والزَّمَانِ والمكَانِ. وكذَلِكَ الأَشْخَاصُ الرُّوَاةُ لِتِلْكَ الأَحْدَاثِ، ولوُرُودِهَا في الحَدِيثِ النَّبَوِيّ فإنّها خرَجتْ عَن دَائِرةِ الأُسطُورةِ إلى الوَاقعِ، لكنَّها مَا زَالَتْ مُتَلبَّسَةً بالعجائبيَّةِ من عدَّةِ جِهاتٍ:

(١) حليفي، شعيب، الرحلة في الأدب العربي، دار رؤية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦م، ٤٥٦.

أ الجِهةُ الأُولَى: التَّشْوِيقِ بين الأخبار:

مِنْ أَهَمّ سِماتِ بلَاغَةِ النَّبيّ (ﷺ) قُدرتهُ عَلَى إثارَةِ التَّشْوِيقِ في نَفسِ السَّامعِ من خلالِ عدَّة آلياتٍ لُغَوِيّةٍ شَائعةٍ في بِنَاءِ الحَدِيثِ النَّبَوِيّ عَلَى نحوٍ عامّ، ثم في بِنَاء الحَدِيثِ المتضمَّن مَلمحًا تعجبيًّا عَلَى وَجهٍ خَاصّ.

مثالُ ذَلِكَ دَلالةُ العَطْفِ بالفَاءِ في هَذَا المَشهدِ الذي يَدلُّ عَلَى سُرْعَةِ الحَدَثِ، وَتَنَامِيهِ عَلَى نَحْوٍ مُدْهِشٍ، وذَلِكَ في قولهِ: "فدخلُوهُ، فانحدرَتْ صخرَةٌ، فسدَّتْ عَليهِم الغَارَ". وكذَلِكَ قولهُ: "فانفرجَتْ شيئًا لا يستطيعُونَ الخُروجَ"، وهَذَا فيهِ تَعْجيبٌ مِنْ نَاحِيَتَينِ: الانفراجُ، وعدمُ اكتِمَالِ الانفِرَاجِ. وكذَلِكَ قَولُهُ:" فأخَذهُ فاستَاقهُ فلمْ يتركْ منهُ شَيئًا"، مِمَّا يُثِيرُ في النَّفْسِ أَمَارَاتِ الدَّهْشَةِ والاستِغرابِ.

ومِن ثَمَّ، "يُمْكِنُ التَّمْيِيزُ بَيْنَ زَمَنِيَّةٍ دَاخليَّةٍ، وزَمَنِيَّةٍ خارجيَّةٍ، الأُولى: مُرتَسِمَةٌ في الخِطَابِ نَفسِهِ، والثَّانيَةُ: وَاقِعَةٌ خَارِجَهُ، ومتَّصِلَةٌ بالمُؤلّفِ والقَارِئ، وفي كِلتَا الزَّمَنيتينِ أَصنافٌ عدَّةٌ، فَفِي الزَمَنِيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ يَنبغِي التَّمْييزُ بَينَ زَمَنِ الحِكَايَةِ، أي زمَن أَحْدَاثها، وَزَمَنِ الخِطَابِ، وهو يتعلَّقُ بطَرائقَ ترتيبِ الأَحْدَاثِ في الخِطَابِ القصصِيّ، ومُدّتها وتَواتُرِها. أمَّا الزَّمَنِيَّةُ الخارجيَّةُ: فتَّتَصِلُ بِمُسْتوَى خَارِجِيّ مُفَارِقٍ للنَّصّ، طَرَفَاهُ المُتكلّمُ، والقارئُ، وفي هَذَا تَبْدُو عَلَاقَاتُ الاتّصَالِ والانفِصَالِ بَينَ زَمَنِ الكَاتِبِ وزَمَنِ الكِتَابَةِ، وَزَمَنِ القَارِئِ وَزَمَنِ القِرَاءَةِ[١]".

وَبِمَا أَنَّ حَدِيثَ النّبيّ (ﷺ) صِدْقٌ كُلُّهُ بدَلَالَةِ قَولِهِ تَعَالَى:

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[٢].

فَإنَّ منزعَ الدَّهشَةِ هُوَ حُصُولُ هَذِهِ الأَحْدَاثِ فوقَ الطَّبيعيَّةِ في عَالمِ الواقعِ الإنسَانيّ. فالخَبَرُ لَيسَ فيهِ اختِلَاقٌ، ولَا مُبَالَغَةٌ كَاذِبَةٌ، وَحَاشَاهُ، بَلْ هُوَ وَحْيٌ تَلقاهُ؛ فأَخْبرَ بِهِ، لكِنَّ صِيَاغتَهُ بهَذَا الأُسلُوبِ السَّرْديّ المُدهِشِ هيَ التِي حَقَّقَتْ لَهُ عُنْصُرَ التَّشْوِيقِ، حيثُ المُوَازَنَةُ بينَ فَنيَّاتِ الحَكْي، وصَوغِ القِيمةِ، وتَكثيفِ الدَّلَالَةِ، ووضُوحِ القَصْدِ، وبلاغَةِ العِبارةِ، وتَفرُّدِ الأُسْلُوبِ. كَمَا أنَّ الأَنمَاطَ الحِكَائِيّةَ المرويَّةَ في النَّصّينِ مُشوّقةٌ، وهي تتَضَامُّ في بِنيَةٍ سَرْدِيَّةٍ؛ كإطَارٍ، يُحدِثُ لها نَوعًا منَ التَّماسُكِ عَبرَ التَّرابطِ المشهديّ في بنيةِ الحِكَايَةِ.

يَقُومُ النَّصُّ الأَوَّلُ عَلَى فِكْرَةٍ تَعَجُّبيَّةٍ مُنذُ اللَّحْظَةِ الأُولَى، حَيْثُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ دَخَلُوا غَارًا بقَصْدِ المَبِيتِ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرةٌ؛ فَسَدَّتْ بَابَهُ عَلَيهِم، وهَذِهِ مَظِنَّةُ هَلَاكٍ، ثمَّ التَّوَجُّهُ إلى الله تعالى بِعَمَلٍ صَالِحٍ، ثُمَّ انفِراجِ الصَّخرةِ في مَشْهَدٍ عَجِيبٍ عَقِبَ كُلّ تَوسُّلٍ يَصدرُ عَن وَاحِدٍ منهُم، بالإضَافةِ إلى أنَّ الانفراجتينِ: الأُولى والثَّانيةَ لمْ تَسمَحَا لَهُم بالخُروجِ منهُ، مِمَّا يَدلُّ عَلَى أنَّ الخَطَرَ ما زَالَ مُحْدِقًا بهِم، فلمْ يَخرجُوا لحَالِ سَبيلِهِم إلَّا بَعْدَ فَراغِهِم جَمِيعًا مِنَ التَّوَجُّهِ إلى الله جل في علاه.

وَهَذَا التَّعجيبُ الذي يَدُلُّ عليهِ تَحَرُّكُ الجَمَادِ "الصَّخْرةِ" بسَببِ كَلِمَاتٍ يَقولُها الإنسَانُ، هُو نَوعٌ مِن تَقديمِ أَحْدَاثٍ فوقَ طبيعيَّةٍ؛ وذَلِكَ مِن خِلَالِ الاستعانَةِ بطُرقٍ وأَسَاليبَ سَرْدِيَّةٍ، تَمنَحُ النَّصَّ سِمَةَ التَّفَاعُلِ الدِّينَاميّ بينَ مُكَوّناتِهِ السَّرْدِيَّةِ المُختَلِفَةِ مِن سَاردٍ، وحَدثٍ، ومُتلَقٍ للنَّصّ[٣].

والنَّصّ الثَّانِي حَدَثٌ مُتَجَاذِبٌ بَينَ ثُنائيَّةِ المَنْحِ والمَنْعِ، وهِيَ ثُنائِيَّةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بالابتِلَاءِ في الحَالَينِ، ثُمَّ عَاقِبَةُ الابتِلاءِ "رَضِيَ اللهُ عَنكَ، وسَخِطَ عَلَى صَاحِبيكَ"، وإزالَةُ

(١) مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، ٢٤١.

(٢) سورة النّجم:١ ـ ٤.

(٣) يُراجَع، حليفي، شعيب، مكونات السَّرْد الفانتاستيكي،٧٦.

البرَصِ والصَّلَعِ وذِهَابُ العَمَى بِمَسْحَةٍ مَسَحَها المَلَكُ، وإعطَاءُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنهُم ما شاءَ مِنْ بَهيمَةِ الأَنْعَامِ، لتَكُونَ بعدَ ذَلِكَ مَصْدَرًا مِنْ مَصَادرِ الغِنَى. ثُمَّ الابتِلَاءُ في الأَخذِ، وسلبُ النِّعْمَةِ، كُلُّها أَحْدَاثٌ تَوَافرَ لهَا عُنصُرُ التَّشْوِيقِ، وجَاءَ الأُسلُوبُ السَّرْديُّ في الحَكْيِ مُحدثًا أثرًا بَدِيعًا في المُوَازَنَةِ بينَ فنيَّاتِ القصِّ والمُحافظَة عَلَى إبرازِ القيمِ الأَدبيَّةِ والرَّكائزِ القِيميَّةِ.

ج_ الجِهَةُ الثَّالِثَةُ: الذاكرة والتجربة:

الشَّخْصيَّاتُ فِيهَا مَلَامِحُ في بنائِها مِن حيثُ استلهامُ كلِّ منها فترةً خصبةً من حياتهِ، نُقِشَتْ في ذَاكِرتِهِ، وبقِي أثرُها في وِجْدانِهِ، حتَّى إذَا ما وقَعَ في ضِيقٍ كانتْ ملاذًا آمِنًا لهُ يلجأُ إليهِ، ويتضرَّعُ لله تَعَالَى بهِ. بالإضافةِ إلى أنَّ الشَّخْصيَّاتِ الواردَةَ فِي النَّصّينِ تَقَعُ في نِطَاقِ الشَّخْصِيَّاتِ المُتَفَاعِلَةِ، وَهِيَ :"كلُّ مُشَارِكٍ في أَحْدَاثِ الحِكَايَةِ، سَلبًا أو إيجَابًا، أَمَّا مَنْ لَا يُشَارِكُ في الحَدَثِ؛ فلا يَنتَمِي إِلَى الشَّخْصيَّاتِ، بَلْ يَكُونُ جُزءًا منَ الوَصْفِ[١]".

والشَّخْصيَّاتُ هيَ " أَهَمُّ مكوّنَاتِ العَملِ الحِكَائِيّ؛ لأنّها تمثّلُ العنصرَ الحَيويَّ الذي يَضْطَلِعُ بِمُخْتَلفِ الأَفْعَالِ التِي تَتَرَابَطُ وتتَكَامَلُ في مَجْرَى الحَكْي[٢]".

هكذا، يمكن القول إن هَذَين الحَدِيثين الشَّريفَينِ مِنْ حَيثُ المَضْمُونُ اتّفَقَا في أَشياءَ، واختلَفا في أَشياءَ أُخرَى، فقَدِ اتّفَقَا فِي:

ـ العَدَدِ "ثلَاثَة" فَالنَّفَرُ الَّذينَ حَبَسَتْهُم الصَّخْرَةُ فِي الكَهْفِ ثَلَاثَةٌ، والنَّفَرُ الَّذِينَ تَعَرَّضُوا للِامتِحَانِ بالنّعْم ثلَاثةٌ أَيْضًا.

ـ كونُهم مِن الأُممِ التي كانتْ قَبلَنا. وإنْ جَاءَ النَّصُّ في الحَدِيثِ الثَّاني "الأَبْرَصُ، والأَقْرَعُ، والأَعْمَى عَلَى أنَّهُم كَانُوا مِن بَنِي إسرَائيلَ.

ـ الإبتِلَاءُ مُشتَرَكٌ بينَ الحَدَثين، بَيدَ أنَّ أحدَهُما" حَديثُ الأَبْرَصِ والأَقْرَعِ والأَعْمَى" نصَّ عَلَى الابتلَاءِ صَرَاحَةً، وأكَّدتْهُ الأَفعَالُ، والآخَرُ "حَدِيثُ أَصحَابِ الغَارِ" اتّضَحَ فِيهِ الابتِلَاءُ بِدُونِ التَّلَفُّظِ بِهِ.

ـ التَّحْذِيرِ مِن جُحُودِ النِّعْمَةِ وكُفرَانِهَا.

ـ التَّشْوِيقِ إِلَى العَمَلِ الصَّالِحِ.

وَاختَلفَا فِي:

ـ زَمَنِ الحَدَثِ لا يَتَجاوَزُ اللَّيلَةَ الوَاحِدَةَ فِي حَديثِ "أَصحَابِ الغَارِ" بَينَما زَمَنُ الحَدَثِ طَويلٌ في حَديثِ "الأَبْرَصِ، والأَقْرَعِ، والأَعْمَى" ويَمتَدُّ لِسِنينَ فالشِّدَّةُ طَارِئَةٌ حَدثَتْ فَجْأَةً في زَمنٍ قَصِيرٍ في شَأنِ أَصحَابِ الغَارِ، في حين الشِّدَّةُ وَاقعَةٌ مِن زَمنٍ بَعيدٍ تعودُ لتَارِيخِ مِيلادِ كُلِّ وَاحِدٍ في شَأنِ "الأَبْرَصِ، والأَقْرَعِ، والأَعْمَى".

ـ المَكَانُ في حَدِيثِ "أصحَاب الغَارِ" وَاحِدٌ ضَيّقٌ مَحصُورٌ يَحتَوِي الثَّلاثَةَ النفر؛ في حينِ أنَّهُ وَاسِعٌ مُنبَسِطٌ، لَا حُدُودَ لهُ في حَديثِ "الأَبْرَصِ، والأَقْرَعِ، والأَعْمَى".

ـ فِي حَدِيثِ "أَصحَابِ الغَارِ" كَانَتِ الشِّدَّةُ وأَعقَبَهَا الفَرَجُ للجَمِيعِ، بَينَمَا فِي حَدِيثِ "الأَبْرَصِ، والأَقْرَعِ، والأَعْمَى" كَانَتِ الشِّدَّةُ؛ فالفَرجُ؛ ثمَّ الشِّدَّةُ في شَأنِ الأَبْرَصِ والأبكَمِ، وبقاء الفَرجِ في حَقِّ الأَعْمَى.

ـ فِي حَدِيثِ "أَصحَابِ الغَارِ" كانَ الدُّعاءُ والتَّوسُّلُ إلى اللهِ تَعَالَى مُبَاشَرَةً، بَينَمَا فِي حَدِيثِ "الأَبْرَصِ، والأَقْرَعِ، والأَعْمَى" كَانَ المَلَكُ هُوَ وَسيلةَ التَّواصُلِ مَعَ اللهِ تَعَالَى؛ أَيْ إِنَّهُ بمَثَابَةِ وَسِيطٍ.

(١) زيتوني، لطيف، معجم مصطلحات نقد الرِّوَايَة، ١١٤.

(٢) يقطين، سعيد، قال الراوي؛ البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، ٧٢.

وَمَا بَينَ هَذِهِ التَّوافقاتِ والتَّخالُفَاتِ كَانَ للسَّردِ دورهُ الرَّئيسُ في رَسمِ الحَدثِ والصُّعودِ بهِ، وتقديمِ الشَّخْصيَّاتِ الرَّئيسَةِ، والأُخرَى المُتوَارِيَة لأَدْوَارِهَا بمُنتَهَى الدِّقَّةِ، وعَلَى القَدْرِ الذي يُقدِّمُ المُرَادَ، ويُحَقِّقُ الهَدَفَ.

الفصل الثاني: رؤيا الاستشراف

جدلية السابق / اللاحق وسيمياء العنوان:

تقدم مؤولة (خبر من هم بعدنا) في حَدِيثِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، الرؤيا الاستشرافية المستقبلية لخطاب النبي الكريم، عبر رحلة حكائية إدراكية في مستقبل البشرية وما ينتظرها من فتن عظيمة وملاحم وهيمنة الفساد الشيطاني.

رُوِيَ عَنْ فَاطِمَةَ بنتِ قيسٍ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ نِدَاءَ المُنَادِي "مُنَادِي الرَّسُولِ" يُنادِي الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَخَرَجْتُ إِلَى المَسْجِدِ فَصَلَّيْت مَعَ رَسُولِ اللهِ؛ وكُنتُ فِي النِّسَاءِ اللَّواتِي يَلِينَ ظُهُورَ القَومِ؛ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَاتِهِ جَلَسَ عَلَى المِنبَرِ، وَهُوَ يَضْحَكُ؛ فقَالَ: "لِيلزَمْ كلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ". ثُمَّ قَالَ: "أَتدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟" قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "وَاللهِ إِنّي مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغبَةٍ ولَا لِرَهبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانيًّا؛ فَجَاءَ فبَايَعَ، وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الذي كُنْتُ أُحَدِّثُكُم عَنِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ. حدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحَرِيَّةٍ معَ ثلاثينَ رَجُلًا مِن لَخْمٍ وَجُذَامٍ، فَلَعِبَ بِهِم المَوْجُ شَهْرًا فِي البَحْرِ، ثُمَّ أُرْفِئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ في البَحرِ حِينَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلسَ في أَقرُبِ السَّفينَةِ؛ فَدَخلُوا الجَزيرَةَ؛ فَلقِيتْهُم دابَّةٌ أَهْلَبُ كَثيرَةُ الشَّعْرِ لَا يَدْرُونَ مَا قبلَهُ مِن دُبُرِهِ مِن كَثرةِ الشَّعْرِ؛ فقَالُوا: "وَيلَكَ مَا أنتَ؟"

فَقَالَتْ: "أنَا الجَسَّاسَةُ"، قَالُوا: "وما الجَسَّاسَةُ؟"

قَالَتْ: "أيُّها القَومُ، انطَلِقُوا إلى هَذَا الرَّجلِ في الدّيرِ؛ فإنَّهُ إِلَى خَبرِكُم بالأَشْوَاقِ".

قَالَ: "لمَّا سمّتْ لنَا رَجُلًا فَرِقنَا منهَا أَنْ تَكُونَ شَيطَانَةً".

قَالَ: "فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدّيرَ. فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنسَانٍ رَأَينَاهُ قَطُّ، وأَشَدُّهُ وَثاقًا مَجمُوعَةً يَدَاهُ إِلَى عُنقِهِ مَا بَينَ رُكبَتَيهِ إِلَى كَعْبيهِ بالحَدِيدِ"

قُلنَا: "وَيلكَ مَا أَنتَ؟" قَالَ: "قدْ قدرتُمْ عَلَى خَبَرِي فأَخبِرُونِي ما أَنتُم؟"

قَالُوا: "نَحنُ أُناسٌ مِنَ العَربِ رَكبنَا في سَفينَةٍ بَحَريَّةٍ؛ فَصَادَفْنَا البَحرَ حتَّى اغتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا المَوجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرفينَا إِلَى جَزيرتِكَ هَذِهِ فَجَلَسْنَا فِي أَقرُبِها فَدخَلْنَا الجَزيرَةَ فَلقِيَتنَا دَابَّةٌ أهلَبُ كثيرُ الشَّعرِ لَا نَدْرِي قُبُلَهُ مِن دُبُرِهِ مِن كثرةِ الشَّعرِ؛ فقُلنَا وَيلكَ مَا أَنتَ؟ فقَالَتْ أَنَا الجسَّاسَةُ. قُلْنَا: وَمَا الجَسَّاسَةُ؟

قَالَتِ اعْمَدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ بالدّيرِ. فإنَّهُ إِلَى خَبركُم بِالأَشْوَاقِ. فأَقبلنَا إليكَ سِراعًا وفَزِعْنا مِنهَا، ولمْ نأْمنْ أَنْ تَكُونَ شَيطَانَةً".

فقَالَ: "أَخبرونِي عَن نَخْلِ بيسانَ".

فَقُلنا: "عنْ أيّ شَأنِهَا تَستَخبرُ؟"

قَالَ: "أسألُكُمْ عَن نَخْلِها هَلْ يُثْمِرُ؟"

قُلنَا: "نَعَمْ"

قَالَ: "أمَا أنَّها يُوشِكُ أَنْ لا يُثْمِرَ".

قَالَ: "أَخبِرُونِي عَن بُحيرَةِ طَبَريَّةَ. قُلْنَا: "عَن أيّ شَأنِهَا تَستَخْبرُ؟"

قَالَ: "هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟"، قُلْنَا: "هِيَ كَثيرَةُ المَاءِ"!

قَالَ: "إنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ".

قَالَ: "أَخْبِرُونِي عَنْ عَينِ زُغْرٍ".

قَالُوا: "عَن أَيّ شَأنِهَا تَستَخْبرُ؟"

قَالَ: "هلْ فِي العَينِ ماءٌ؟ وهَلْ يَزْرَعُ أَهلُها بِمَاءِ العَينِ؟"

قُلْنَا لَهُ: "نَعَمْ هِيَ كَثيرَةُ المَاءِ وأَهْلُها يَزرَعُونَ مِن مَائِهَا".

قَالَ: " أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيّ الأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟"

قَالُوا: "قدْ خَرَجَ مِن مَكَّةَ، وَنَزَلَ يَثْرِبَ".

قَالَ: "أَقَاتلتْهُ العَرَبُ؟"

قُلنَا: "نَعَمْ"

قَالَ: "كَيفَ صَنعَ بِهِم؟" فَأَخبرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَن يَلِيهِ مِنَ العَرَبِ، وأَطاعُوهُ. قَالَ لَهُمْ: "قدْ كَانَ ذَاكَ أَمَا أَنَّ ذَلِكَ خَيرٌ لَهُم أنْ يُطِيعُوهُ، وإنِّي أُخْبرُكُم عَنِّي: أَنَا المَسِيحُ الدَّجَّالُ، وأنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤذنَ لِي في الخُروجِ فأَخْرُجَ؛ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ فلَا أَدَعْ قَريَةً إلَّا هَبطْتُها في أَرْبَعِينَ لَيلَةً غيرَ مكَّةَ وَطَيبَةَ؛ فَهُما مُحرَّمتَانِ عَلَيَّ كِلتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أنْ أَدخُلَ وَاحِدَةً، أو إِحْدَاهُما استقبلنِي ملَكٌ بيدِهِ السَّيفُ صَلتًا يصدُّني عَنهَا، وإنْ عَلَى كلِّ نقبٍ مِنهَا مَلَائكَةٌ يَحرُسُونَهَا".

قَالَتْ فاطِمَةُ: قَالَ رَسُولُ الله (ﷺ) وطَعنَ بِمِخْصَرتِهِ في المِنبرِ: "هَذِهِ طَيْبَةُ. هَذِهِ طَيْبَةُ. هَذِهِ طَيْبَةُ" يَعنِي المَدِينَةَ "أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثتُكُم ذَلِكَ؛ فقَالَ النَّاسُ: "نعَمْ" قَالَ الرَّسُولُ (ﷺ): "فإنَّهُ أَعْجَبَنِي حَديثُ تَميمٍ؛ فإنَّهُ وَافَقَ الذي كنتُ أُحَدِّثكُم عَنهُ وَعَنِ المَدِينةِ ومكَّةَ إلَّا أنَّهُ فِي بَحرِ الشَّامِ، أَوْ فِي بَحرِ اليَمَنِ، لَا بَلْ مِنَ المَشْرِقِ مَا هُوَ مِن قبلِ المَشْرِقِ ما هوَ من قبلِ المَشْرِقِ، وأومأَ بيدِهِ الشَّريفَةِ إلى المَشْرِقِ".

وهكذا، رويَ فِي الجَامِعِ الصَّحِيحِ: قَالَ الرَّسُول (ﷺ): "يا أَيُّها النَّاسُ! إنَّها لمْ تَكُنْ فِتنَةٌ عَلَى وَجهِ الأَرْضِ، منذُ ذَرَأَ اللهُ ذُرِّيَّةَ آدمَ أَعْظَمَ من فتنةِ الدَّجَّالِ، وإنَّ اللهَ ﷻلَمْ يَبْعَثْ نبيًّا إلَّا حَذَّرَ أُمَّتَه الدَّجَّالَ، وأنا آخِرُ الأَنبياءِ، وأَنتُمْ آخِرُ الأُمَمِ، وهُوَ خَارِجٌ فيكُم لا مَحَالَةَ، فَإنْ يَخْرُجْ وأَنَا بَينَ أَظْهُرِكمْ، فأَنَا حَجِيجٌ لكلِّ مُسْلِمٍ، وإنْ يخرُجْ مِن بَعْدِي، فكلٌّ حَجِيجُ نفسِهِ، واللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وإنَّهُ يَخْرجُ مِن خُلَّةٍ بينَ الشَّامِ والعِراقِ. فَيَعِيثُ يَمينًا وشِمالًا، يَا عِبَادَ اللهِ! أَيُّها النَّاسُ! فَاثبُتُوا فإنِّي سَأَصِفُه لكُم صِفةً لمْ يَصِفْها إيَّاه قَبلِي نَبيٌّ، يقُولُ: أَنَا ربُّكم، ولا تَرَوْنَ ربَّكم حتَّى تَمُوتُوا، وإنه أَعْوَرُ، وإنَّ ربَّكُمْ لَيْسَ بأَعْوَرَ، وإنَّهُ مَكْتُوبٌ بينَ عَيْنَيْهِ: كافرٌ، يقرؤُهُ كُلُّ مُؤمِنٍ، كَاتِبٌ أَو غَيرُ كَاتِبٍ. وإنَّ مِن فِتنَتِهِ أَنَّ مَعَهُ جَنَّةً وَنارًا، فنَارُهُ جَنَّةٌ، وجَنَّتُهُ نَارٌ، فَمَنْ ابتُلِيَ بنَارِهِ؛ فلْيَسْتَغِثْ باللهِ، ولْيَقْرَأْ فَواتِحَ الكَهْفِ، وَإنَّ مِن فِتْنَتِه أَنْ يَقُولَ للأَعْرَابِيّ: أَرَأَيتَ إنْ بَعَثْتُ لكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ أَتَشْهَدُ أنِّي رَبُّكَ؟ فيَقُولُ: نَعَمْ، فَيتمَثَّلُ لهُ شَيطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبيهِ وأمِّهِ، فيَقُولَانِ: يا بُنَيَّ اتَّبِعْهُ، فإنَّهُ ربُّكَ، وإنَّ مِن فِتْنتِهِ أنْ يُسَلَّطَ عَلَى نَفسٍ وَاحِدةٍ فيَقْتُلُها، يَنْشُرُها بالمِنْشارِ حتى تُلْقَى شِقَّيْنِ.

ثُمَّ يقولُ: انظُرُوا إلَى عَبْدِي هذا، فإني أَبْعَثُه ثم يَزْعُمُ أَنَّ له ربًّا غيري، فيبعثُه اللهُ، ويقولُ له الخبيثُ: مَن ربُّك؟ فيقولُ: رَبِّيَ اللهُ، وأنت عَدُوُّ اللهِ، أنت الدَّجَّالُ، واللهِ ما كنتُ قَطُّ أَشَدَّ بصيرةً بك مِنِّي اليومَ.

وإنَّ من فتنتِه أنْ يأمرَ السماءَ أَنْ تُمْطِرَ، فتُمْطِرَ، ويَأمُرَ الأَرضَ أنْ تُنْبِتَ، فتُنْبِتَ. وإنّ من فتنتِهِ أن يَمُرَّ بالحَيِّ فيُكَذِّبُونَهُ، فَلَا يَبْقَى لَهُم سَائمةٌ إلَّا هَلَكَتْ.

وإنَّ مِن فِتْنَتِهِ أنْ يَمُرَّ بالحَيِّ، فيُصَدِّقونهُ، فَيأْمرُ السَّماءَ أن تُمْطِرَ فتُمْطِرُ، ويَأْمرُ الأَرضَ أن تُنْبِتَ فتُنْبِتُ، حَتَّى تَرُوحَ مَواشِيهِم مِن يَومِهِم ذلك أَسْمَنَ ما كانتْ، وأَعْظَمَهُ، وأَمَدَّه خَواصِرَ وأَدَرَّهُ ضُرُوعًا.

وإنَّهُ لَا يَبْقَى شَيءٌ مِنَ الأَرْضِ إلَّا وَطِئَه وظَهَر عليهِ، إلَّا مكَّةَ والمَدِينةَ، لا يَأتِيهِمَا مِنْ نَقَبٍ مِنْ أنقابِهِما إلا لَقِيَتْهُ المَلائكةُ بالسُّيوفِ صَلْتَةً، حتَّى يَنْزِلَ عند الضَّرِيبِ الأَحْمرِ، عِنْد مُنْقَطَعِ السَّبَخةِ، فتَرْجُفُ المَدِينَةُ بأَهْلِهَا ثَلاثَ رَجْفاتٍ، فَلَا يَبْقَى فيهَا مُنَافِقٌ ولَا مُنَافقةٌ إلَّا خَرَجَ إليهِ، فَتَنْفِي الخَبِيثَ مِنهَا، كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ.

ويُدْعَى ذَلك اليومُ يَومَ الخَلَاصِ، قيلَ: فأين العربُ يَوْمَئِذٍ؟ قالَ: هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ، وَإمامُهُم رَجُلٌ صَالِحٌ، فبَيْنَما إمَامُهُم

قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ، إِذْ نَزلَ عَليهِمْ عِيْسَى ابنُ مَريمَ الصُّبْحَ، فَرَجَعَ ذَلكَ الإِمَامُ يَنْكُصُ يَمْشِي القَهْقَرَى لِيَتقدَّمَ عِيْسَى، فيَضَعُ عِيْسَى يَدَهُ بين كَتِفَيْهِ، ثمَّ يقُولُ لهُ: تَقَدَّمْ فَصَلِّ؛ فإنَّها لكَ أُقِيمَتْ، فيُصَلِّي بِهِمْ إمامُهُمْ، فَإذَا انصْرفَ، قَالَ عِيْسَى: اِفتَحُوا البَابَ، فيَفْتَحُون ووراءَه الدَّجَّالُ، مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ، كُلُّهم ذُو سَيفٍ مُحَلًّى وَسَاجٍ، فَإذَا نَظَرَ إلَيهِ الدَّجَّالُ ذَابَ؛ كَمَا يذُوبُ المِلْحُ في المَاءِ.

وَيَنْطلقُ هَارِبًا، فيُدْرِكُه عند بابِ لُدٍّ الشرقيِّ، فيقتلُه، فيَهْزِمُ اللهُ اليَهُودَ، فَلَا يَبْقَى شيءٌ مِمَّا خلق اللهُ ﷻيَتَواقَى به يَهُودِيٌّ، إلَّا أَنْطَقَ اللهُ ذَلكَ الشَّيءَ، لَا حَجَرٌ وَلَا شَجَرٌ ولا حَائِطٌ ولا دَابَّةٌ، إلَّا الغَرْقَدَةُ، فإنَّها مِن شَجَرِهِم لا تَنْطِقُ، إلَّا قَالَ: يَا عَبدَ اللهِ المُسلِمَ، هذَا يَهُوديٌّ فتَعَالَ اقتُلْهُ.

فيَكُونُ عِيْسَى ابنُ مريمَ في أُمَّتِي حَكَمًا عَدْلًا ، وإمامًا مُقْسِطًا يَدُقُّ الصَّليبَ، ويَذْبَحُ الخِنْزيرَ، ويضعُ الجِزْيةَ، ويتْركُ الصَّدقةَ، فَلَا يُسْعَى عَلَى شَاةٍ ولا بَعيرٍ، وتُرْفَعُ الشحناءُ والتباغُضُ ، وتُنْزَعُ حِمَةُ كلِّ ذاتِ حِمَةٍ، حَتَّى يُدْخِلَ الوَليدُ يدَه في فِيِّ الحَيَّةِ، فَلَا تَضُرُّهُ، وتَضُرُ الوَليدةُ الأَسدَ فلَا يَضُرُّها، ويكُونُ الذِّئبُ في الغنمِ كأنه كلبُها، وتُمْلَأُ الأرضُ من السِّلْمِ كما يُمْلَأُ الإناءُ منَ المَاءِ، وتكُونُ الكَلِمَةُ وَاحِدَةً، فلا يُعْبَدُ إلا اللهُ ، وتَضَعُ الحَربُ أَوْزارَها، وتُسْلَبُ قُريشٌ مُلْكَها، وتكُونُ الأَرضُ كفاثورِ الفِضَّةِ ، تُنْبِتُ نَباتَها بعَهْدِ آدمَ حتى يجتمعَ النَّفَرُ عَلَى القِطْفِ من العِنبِ فيُشْبِعُهمْ، وَيَجْتَمِعُ النَّفَرُ عَلَى الرُّمَّانةِ فتُشْبِعُهُمْ، ويكُونُ الثَّوْرُ بكَذا وكَذَا وكَذا مِنَ المالِ، ويكُونُ الفَرَسُ بالدُّرَيْهِماتِ، وإنَّ قبلَ خرُوجِ الدَّجَّالِ ثلَاثَ سَنَواتٍ شِدَادٍ، يُصِيبُ النَّاسَ فيها جُوعٌ شديدٌ، يَأمُرُ اللهُ السَّماءَ السَّنةَ الأُولى أَنْ تَحْبِسَ ثُلُثَ مَطَرِها، ويَأْمُرُ الأرضَ أنْ تَحْبِسَ ثُلُثَ نباتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّماءَ في السَّنَةِ الثَّانيةِ فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ مَطَرِها، وَيَأْمُرُ الأَرْضُ فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ نباتِها، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّماءَ في السَّنَةِ الثَّالِثَةِ فتَحْبِسُ مَطَرَها كُلَّهُ، فَلَا تَقْطُرُ قُطْرَةً، ويَأْمُرُ الأرضَ؛ فَتَحْبِسُ نبَاتَها كلَّهُ؛ فَلَا تُنْبِتُ خضراءَ، فَلَا يَبْقَى ذاتُ ظِلْفٍ إلَّا هَلَكَتْ إلَّا ما شَاءَ اللهُ، قِيلَ: فَمَا يُعِيشُ الناسَ في ذَلِكَ الزَّمَانِ ؟ قَالَ: التَّهْلِيلُ، والتَّكْبيرُ، والتَّحْمِيدُ، ويُجْزِئُ ذَلِكَ عَلَيهِم مَجْزَأَةَ الطَّعامِ"[(١)].

هَذَا الحَدِيثِ عُنْوانُهُ:" المَسيحُ الدَّجَّالُ" وهُوَ ما يُحيلُ عَلَى عَلَمٍ مَشهُورٍ مِنْ أَوَّلِ وَهلَةٍ، وَمسألةُ التَّعييناتِ الاسميَّةِ في هذَا الحَديثِ يُؤَدّي دَورًا مهمًّا مِن حيثُ المَكانةُ التي يَحتلُّها في ذاكرةِ السَّردِ، كمَا تحَدَّدَ وتخَلَّق؛ فكلمة المسيخ التي تُحيلُ على عيسى بن مريم السيّدِ المَسيحِ(عليه السلام)، سَواءٌ، أكانتْ بالحاءِ أم بالخَاءِ في الوَقتِ نَفسِهِ، تَجْعلُ المُتلقّي مُتحفّزًا بمَفْهومِ التّحفيزِ السّرْدِيّ بمَجمُوعَةٍ منَ المَواقفِ الانفعاليَّةِ والوجدانيَّة تجاه هذا السَّردِ، مِن خِلَالِ تَضَافُرِ مَجْموعةٍ منَ السّياقاتِ الحِكائيَّةِ في السّردِ.

من ثم، لقدِ التفَتَ بَعْضُ الدَّارسينَ إلَى دَورِ الاسْمِ فِي عُنوَانِ السَّردِ، وَلَفَتُوا الأَنْظَارَ إلَى مَا تَصْنَعهُ المُشَاكَلَةُ اللَّفظيَّةُ في الأَعلَامِ، وتَجْعلُ ذِهْنَ المُتلَقّي جَاهزًا لفَهْمِ مَضمُونِ السَّردِ، ولهَذِهِ المُشَاكَلَةِ دَورٌ عَظِيمٌ في تَسويقِ النَّصّ وَتَلقّيهِ بِشَغَفٍ وحَميميَّةٍ اعتمادًا على شُهْرَةِ اللَّقبِ المُشَابهِ مِنَ الأَعلَامِ المَشهُورةِ [(٢)]. لما بينَهُما من مُشاكلةِ ما على سَبيلِ الاستِدعاءِ، وَتَسْويقِ النَّصّ الجديدِ واتّساعِ مساحةِ تلقّيهِ، ولكنَّ هذا التَّشَابُهَ بينَ المَشَاهيرِ قَدْ يكُونُ حَقيقةً واقعيَّةً؛" يُسهِمُ في وُضُوحِهَا تَشَابُه المَواقِفِ والأَحدَاثِ وارتِباطُهما بأَعْلَامٍ مُتَشَابِهَينَ، أَيضًا؛ فالمُقَارَبَةُ

(١) الألباني (أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (ت ١٤٢٠هـ)، صَحيح الجامع الصغير وزياداته، بيروت، المكتب الإسلامي،١٤٢٠هـ،٢/١٣٠٣.

(٢) يُراجَعُ: الخراشي، عبد العزيز بن عبد الله، ظاهرة العنوان في شعر العهدين الزّنكيّ والأيوبيّ، منشورات جامعة الملك سعود الإسلامية، سلسلة الرسائل العلمية، ٢٠١٥م، ٣٥.

بينَ العَلَمينِ قَدْ يُؤَدّي إلَى تَشَابُهُ المَوَاقِفِ، أَيضًا، أو السِّياقاتِ، أو الدّوَافِعِ، أو الأَهدَافِ، أو الأَيديولوجيَّاتِ، أو الرُّؤى العَامَّةِ والخَاصَّةِ"(١).

وبذلك، لا يَخفَى أَثرُ المُجَانسَةِ بينَ المَسيحِ والمَسيخِ التي تَستدعِي مُعجزةِ المسيح (عليه السلام)؛ فإذا كانَتْ بَعثَةُ المَسِيحِ (عليه السلام)، قد غيَّرتِ العالمَ ، بإحيَاءِ المَوتَى، وإبرَاءِ الأَكمَهِ والأَبرَصِ؛ والهِدَايَة لحَواريهِ، وتابعيهِ، والمُؤمنينَ بهِ معَ مُعجزةِ مِيلَادهِ المُتفرّدَةِ؛ فَإنَّ ظُهُورَ المَسيخِ الدَّجَّالِ سيحملُ مفَارقةً بالفِتنةِ والضَّلَالِ لمُتّبعِيهِ، وبقَانونِ التَّدَاعِي والاستِدعاءِ يَأتِي ظُهُورُ المسيخِ الوَجهَ الآخَرَ المُقابلَ لظهور المَسِيحِ (عليه السلام)، ولكنَّهُ في النِّهايةِ وَجهٌ مُهمٌّ، بل بالغُ الأَهميَّةِ(٢).

إننا داخل المجرى السردي لخطاب الحديث -كما عرضناه آنفا- انطلقنا من حالة المخاض؛ محاربة المسيح الدجال وقتاله، لنصل إلى الفرج _ الخلاص، بل إن لعبة المربع السيميائي تفترض دلاليًّا، أنه إذا انطلقنا من حالة طغيان الدجال نتوجه مباشرة إلى حالة المخاض والصراع ثم إلى حالة الفرج مع السيد المسيح عيسى بن مريم وهي برامج حكائية تتمتع عواملها؛ خاصة العامل المرسل إليه (المسيح) بقدرة فائقة غرائبية على التغيير نحو الخلاص مستمدا إياها من المرسل العلي القدير.

خطاب الحديث النبوي الشريف: وهذا ما نفحصه في ضوء مفاهيم القدرة/ الإنجاز والبرامج السردية قصد بناء النموذج العاملي الاستشرافي في حديث المسيح الدجال.

٢_ التحويل السردي وقدرة الخلاص

داخل البنية الحكائية للحديث التي قسمناها إلى حكايتين أساسيتين (حكاية الدجال، وحكاية عيسى ابن مريم) نجد الأدوار العاملية الآتية:

. المرسل – الذات الإلهية العظيمة

. المرسل إليه – النبي عيسى ابن مريم المسيح

. الذات – البشرية جمعاء

الموضوع _التخلص والخلاص من الدجال:

ذلك أن الملاحظة الأساسية التي يمكن إدراجها في هذا السياق هو أن إنجاز البرامج الحكائية على مستوى الرغبة (الرغبة في الخلاص) لا يتم إلا على مستوى الحلم _ الفاعل الحقيقي في البداية، بينما يظل المؤمنون، في العالم بأحلامهم ورغباتهم في مرحلة أولى، يحاربون شيطانية الدجال، حتى يسقط بيد (عيسى بن مريم) المسيح المخلص...وهذا يعني بالدرجة الأولى أن المؤمنين لا يتمتعون بالقوة اللازمة لفعل الإنجاز؛ فقط ما يملكونه هو القدرة على التفطن إلى دجل الدجال الظالم... وهذا ما يقود إلى القول: إن الذوات الحالمة ظلت رغم تعلق بعضها بكذب الدجال، متشبثة بحدس روح الإسلام في الزمان والمكان، تملك الرغبة ولا تملك الإرادة التي هي شرط من شروط إنجاز الفعل، وبالمقابل نجد سلطة المسيح المبعوث الإلهي هي من تنجز برامجها الحكائية.

إن مناخ التعبئة التي خلقها المسيح المنقذ لأتباعه شكلت العامل المساعد في نسق النموذج العاملي وبرامجه الحكائية في ذلك الحديث النبوي؛ حيث إن الفاعل الحقيقي هو عيسى بن مريم المسيح، الذي يملك القدرة على التحويل أي على تأسيس دلالة التحويل من المخاض إلى الخلاص.

(١) يُراجَعُ: عبدالعال، محمد سيد علي، النّصُّ الذي وَجدَ ظلَّهُ (عتباتُ النَّصّ السَّرْديّ الحَديثِ)، طنطا، النابغة،٢٠٢٢م، ص ٢١١.

(٢) يُراجَعُ: محمد سيد علي عبد العال، النّصُّ الذي وَجدَ ظلَّهُ: (عتباتُ النَّصّ السَّرْديّ الحَديثِ)، ص:٢١١.

وإذا كانت سلطة المسيح هي فاعل فعل (المرسل إليه) فمن أين تستمد قدرتها على التحويل؟

إنها تستمد قدرتها من فاعل فعل الفعل الحقيقي في الحديث أي المرسل: مالك القدرة على الإنجاز الله المتعالي العزيز الجبار الحكيم الذي يحكم على البشر والحجر، باعث المسيح من جديد لإنقاذ البشرية وإحقاق الحق.

الله (عز وجل) إذن – كمرسل – هو مصدر سلطة المسيح عيسى بن مريم الذي يملك قدرة الإنجاز كتمثل ذهني يحيلنا على صورة البعث والانبعاث في الثقافة العربية الإسلامية بوصفها قوة منتجة لكل أشكال الحياة داخل منظومتها، ولو على سبيل الحلم والسردية العجائبية كما في معظم خطابات الحديث النبوي. فالعامل_ الذات الإلهية في الحديث ليست شخصية مادية، بحسب النموذج السيميائي الذي نتبناه، بل هي عامل ذهني يتمتع بالتعالي والتسامي ما دام لا يتمظهر على مستوى الحدث السردي النبوي.

من ثم، نشيد النموذج العاملي في خطاب الحديث كالآتي:

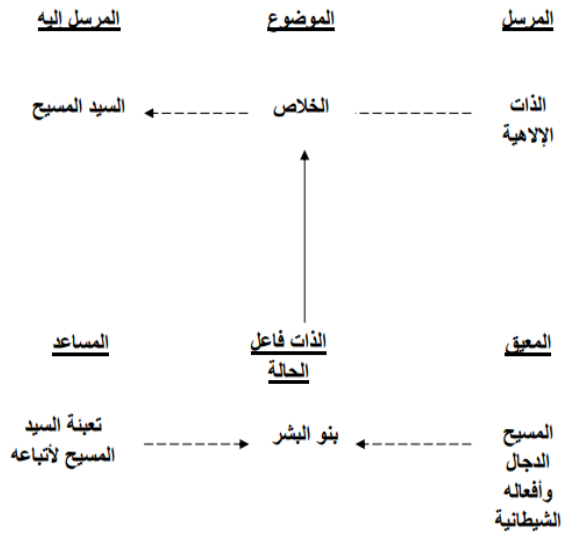

النموذج العاملي في خطاب المسيح الدجال

خاتمة البحث، وفيها أهم النتائج:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وبعد،

فقد انتهى بحث قراءة في سرديات الحديث النبوي الشريف: (دراسة دلالية سيميائية) من بعض ما فتح الله له تجاهه الذي أدعو الله ـ تعالى ـ أن يكتب له القبول. وكان من أهم نتائجه ما يأتي:

- آثر هذا البحث أن يكون "سرديًّا" حين هَمَّ بالارتداد إلى أحاديث وأخبار كُتبت لها الريادة في السرد العربي، وهي أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومن ثم جاء العنوان: السَّرْدُ العَجَائِبِيّ فِي الحَدِيثِ النبوي الشَّرِيفِ؛ وجعلت البحث قِراءة في تلك الأحاديث المنتخبة دراسة موازنة لأستجلي فيها جوامع الأسلوب وفوارقه، والعناصر السردية لكل حديث فيه.
- كَانَ للسَّرْدِ دورهُ الرَّئيسُ في رَسمِ الحَدثِ والصُّعودِ بهِ، وتقديمِ الشَّخْصيَّاتِ الرَّئيسَةِ، والأُخرَى المُتوَارِيَة لأَدْوَارِهَا بمُنتَهَى الدِّقَّةِ، وعَلَى القَدْرِ الذي يُقدِّمُ المُرَادَ، ويُحَقِّقُ الهَدَفَ.
- المَكَانُ في حَدِيثِ "أصحَاب الغَارِ" وَاحِدٌ ضَيِّقٌ مَحصُورٌ يَحتَوِي الثَّلاثَةَ... في حينِ أنَّهُ وَاسِعٌ مُنبَسِطٌ، لَا حُدُودَ لهُ في حَدِيثِ "الأَبْرَصِ، والأَقْرَعِ، والأَعْمَى".
- فِي حَدِيثِ "أَصحَابِ الغَارِ" كَانَتِ الشِّدَّةُ وأَعقَبَهَا الفَرَجُ للجَمِيعِ، بَينَمَا فِي حَدِيثِ "الأَبْرَصِ، والأَقْرَعِ، والأَعْمَى" كَانَتِ الشِّدَّةُ؛ فالفَرجُ؛ ثمَّ الشِّدَّةُ.

- يتبدى الحُضورُ للسَّاردِ العَلِيمِ وَاضِحٌ؛ لأَنَّ النَّبيَّ (ﷺ) هوَ الوَحيدُ الذي عندهُ خبرُ السّماءِ، وعلمُ الغيبِ الذي وصلَهُ بوحيٍ من الله، وذلك في حديث المسيح الدجال.
- يؤدي الوَصْفَ في النَّصِّ السَّردِيّ دَاخِلَ سِيَاقِهِ أَكثرَ مِن وَظيفةٍ، بَلْ قدْ يَرتقِي إِلَى النُّهُوضِ بكُلّ تلكَ الوَظَائفِ مُجتَمِعَةً.
- تَتَجلَّى الوَظِيفَة السَّردِيَّة للوَصفِ فِي فوَاتحِ السَّرْدِ وبِدَاياتِ النُّصُوصِ السّرديَّةِ، أَو سَوابقِه، ولاسيّما النُّصُوصُ السّرديَّةُ الواقعيَّةُ.
- أن للسَّردِ دوره الرَّئيس في رَسمِ الحَدثِ والصُّعودِ بهِ، وتقديمِ الشَّخْصيَّاتِ الرَّئيسَةِ، والأُخرَى المُتوَارِيَة لأَدْوَارِهَا بمُنتَهَى الدِّقَّةِ.
- إن عِلْمُ السَّردِ تسرب دَاخِلَ الخِطَابَاتِ العَرَبيّةِ، وبَعدَما كَانَ الوَصْفُ كَامنًا في أَجهزةِ البحثِ وآليّاتهِ ومَرجِعيّاتهِ الغَربيّةِ، صَارَ لَهُ دَورٌ مُهمٌّ للغَايَةِ في تَحليلِ الخِطاباتِ العربيَّةِ، وتَحقيقِ المُتعَةِ واللَّذَّةِ في تِلكَ الأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ المُنتقاةِ مِنَ المُدوّنةِ الحديثيّةِ النّبوية الشريفة، ولهُ أثرٌ لا شكَّ فيهِ، جَديرٌ بالقِراءةِ المُتَأَنّيَةِ مِن كُلِّ مُهتمٍّ شَغُوفٍ بِتِلكَ الأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ.
- أن هذه الأحاديث المختارة تشتمل على سرديات شتى، وكذا تمثّل أَنْماطًا حِكائيَّة مُشوّقَة، تتَضَامُّ مَعًا في بِنْيَةٍ سَرْديَّةٍ، تَتَّسِمُ بِتَضَافُرِ مُكوّناتِها مِنْ أَحْدَاثٍ وشَخْصِيَّاتٍ وعلاقاتٍ زمكَانِيَّةٍ، وأُسْلُوبٍ للْحَكْيِ.
- إنَّ الخِطَابَ النَّبوِيّ العَجَائبيَّ، والقَصّ الصَّادِقِ يضيفا أَبْعَادًا سَردِيَّةً عَجَائِبِيَّةً، في هَذه الأَحَادِيث؛ مِمَّا يَجْعَلُ مِنهُ نَمَطًا عَجَائِبيًّا مُخْتلِفًا مُتَمثّلًا فِي هَذِهِ البِنْيَةِ الرُّؤْيَويَّةِ التي هيَ مصدرُ العَجَائبيّ، ومَادَّتُهُ الأصلِيَّةُ لكلِّ ما يَروِيهِ مِن غَرَائِبَ وشواهِدَ ومُشَاهَدَ.
- تقدم سرديات الحديث النبوي الشريف وفق نموذج سيميائي دلالي، بنية مقالية خاصة؛ أي معنى معنى الرسالة بوصفها فضاءات ذهنية كونية تتحول فيها الذوات داخل بنية سردية دائرية حلزونية؛ أي أن البداية انفصال عن الخلاص؛ بمعنى الهلاك، والنهاية نسبية هي اتصال بالخلاص في شكل عود أبدي مفتوح على كل الاحتمالات المقصود بها أساسًا ضرورة التشبث بالقيم الإسلامية العالمية المتواصلة في الزمان والمكان. فبنو البشر في الماضي والحاضر والمستقبل يشقون لأجل الدنيا لكن حينما يأتي الابتلاء الإلهي يختبر إيمانهم أو يعرضهم لمعجزة ربانية قصد الإيمان به والانفلات من الهلاك. ففي كل اختبار (الانحصار في كهف، أو طرف عدو، أو التعرض لظلم المسيح الدجال) تغيير نحو جدلية الهلاك أو الخلاص.
- هو، إذن، فضاء ذهني كوني يجعل من ملفوظات خطاب الحديث لغة عالمية لا تخص الناطقين بالعربية فحسب، حيث إن النواة الذرية الدلالية تظل كونية ترتبط بقيم كونية كذلك من قبيل التوحيد، والصدق، والإيمان، والعدل... وبذلك حقق القص في كل الأحاديث الانسجام المعرفي المطلوب؛ أي التوافق مع الدعوة الإسلامية وآفاقها العالمية.

لقد اقتطع الرسول الكريم _ منتج الخطاب أدوارًا موضوعاتية من بين إمكانات متعددة: "الأمة الهالكة"،

"الأمة الناجية "، لكنه فضل الثانية عن الأولى لأنها هي مقصد الإسلام والرسالة المحمدية. ولهذا الاقتطاع خلفيته التاريخية والاجتماعية والدينية، إذ يرتبط بمناخ سوسيو ثقافي وسياسي لفترة معينة من تاريخ الدعوة الإسلامية، حيث لابد من سرديات نبوية تعزز الصلة بين قصص الأولين والمتأخرين لأن هذه الدعوة مستمرة باستمرار الإنسان نفسه على هذه الأرض.

– إن خطاب الحديث النبوي نشط كل الخصائص البلاغية والحكائية للسرد العالمي كما نظر له غريماس؛ من حيث الحذف والإضافة والإيجاز، والتحويل والتقديم وغيرها.

– إن "الإنسان الناجي" رسالة مضمرة حاولت السردية النبوية إقناعنا بها في شكل ترهيب وترغيب معا وفق الاستراتيجية القرآنية ذاتها.

إن خطاب أحاديث الرسول الكريم يقرأ بعضها بعض، وتتناسل عن بعضها بعض. بل لا يمكن فصل نواتها الدلالية عن الأنساق المعرفية الكونية للقرآن الكريم ذاته.

إن هذه الرسالة (الإنسان الناجي) تدخل في إطار قراءة الرسول الكريم الاستباقية لمصير المسلمين والبشرية جمعاء؛ هي قراءة لرسالته ولتاريخه ومجتمعه مما خول له المشاركة في هذا التاريخ عن طريق قراءة تصورية؛ وهي هنا عملية تطبيقية لغوية لبنية دالة تنعت بالسرد. ذلك أن السَّاردُ في حَديثِ الدّجَّالِ، على سبيل المثال، يُمكِن أن ننعته بالسَّاردِ البَصِيرِ الذي زودَ ببصِيرةٍ أُسوةً بالسَّاردِ العَليمِ.

–هيمنة ضمائر المتكلم منتج الخطاب حيث نَجِدُهُا خَمْسَةَ ضَمَائِرَ مُتنوّعةٍ: "أَخوفَنِي، فأنَا، أَكفِيكُم، ولَسْتُ، خليفتِي"، منهَا أَربعَةٌ ظَاهِرَةٌ: "أَخوَفَنِي، فَأَنَا، ولَسْتُ، خليفتِي"، وضَميرٌ وَاحِدٌ مُسْتَتِرٌ " أَكفِيكُم"، ومنهَا ضَمِيرٌ واحدٌ مُنفَصِلٌ "أَنَا"، وثلاثةُ ضمَائِرَ متّصلةٌ" أَخوفَنِي، ولَسْتُ، خليفتِي"، وتَنْقسِمُ المتّصِلَةُ إلى ضَمِيرينِ متَّصِلِينِ بالاسمِ" أَخوفَنِي، خليفتِي"، وَوَاحِدٌ فَحَسبُ مُتَّصِلٌ بالفِعْلِ" ولَسْتُ".

–هناك دلالات يُمكنُنا استنتَاجُها من تَوزيعِ هذه الضَّمَائرِ؛ فحضور السَّاردِ العَلِيمِ وَاضِحٌ؛ لأَنَّ النَّبيَّ (ﷺ) هوَ الوَحيدُ الذي عندهُ خبرُ السّماءِ الذي وصلَهُ بوحيٍ من الله، ومن ثم هذا ما يشكل النواة الذرية الدلالية الخفية في خطاب الحديث بوصفه علامة سيميائية دلالية بلاغية.

المراجع

الألباني (أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين ت ١٤٢٠هـ)، صَحيح الجامع الصغير وزياداته، بيروت، أشرف على طباعته/ زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، ١٤٢٠هـ.

الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع– الرياض – السعودية، ط١، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

سبعي، جبريل، في التذوق الجمالي لقصة أصحاب الغار، دار الأخبار، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.

ابن حبان (أَبُو حَاتِمٍ، مُحَمَّدُ بنُ حِبَّان بنِ أَحْمَدَ بنِ حِبَّان التَّمِيْمِيُّ الدَّارِمِيُّ البُسْتِيُّ. (ت٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان، تحقيق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم – بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ–٢٠١٢م.

بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائيّ "الفضاء، الزَّمن، الشَّخصية"، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربيّ، ١٩٩٠م.

لحمداني، حميد، بنية النَّصّ السَّرديّ من منظور النقد الأدبيّ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١, ١٩٩١م. ط٣، ٢٠٠٥م.

بورنوف، رولان ريال أوئيليه، عالم الرِّوَايَة، ترجمة: نهاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق (د. ت، د. ط).

يقطين، سعيد، قال الراوي؛ البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي (المنطقة الشرقية بالقطيف) المملكة العربية السعودية، ١٩٩٧م.

حليفي، شعيب، الرحلة في الأدب العربي، دار رؤية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦م.

حليفي، شعيب، مكونات السَّرْد الفانتاستيكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٣م.

قسومة، الصادق، علم السَّرْد (المحتوى والخِطَاب والدلالة)، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرِّيَاض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٠هـ.

صالح، صلاح، سرد الآخر: الأنا والآخر عبر اللغة السَّرْديّة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، المغرب، ط١، ٢٠٠٣م.

الطيالسي (أبو داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود (ت ٢٠٤هـ) مسند الطيالسي، تحقيق: الدكتور/ محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

الخراشي، عبد العزيز بن عبد الله، ظاهرة العنوان في شعر العهدين الزّنكيّ والأيوبيّ، منشورات جامعة الملك سعود الإسلامية، (المملكة العربية السعودية) سلسلة الرسائل العلمية، ٢٠١٥م.

شلق، علي، الزمان في الفكر العربي والعالمي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

ثامر، فاضل، اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، طبعة المركز الثقافي العربيّ، بيروت، ١٩٩٤م.

زيتوني، لطيف، معجم مصطلحات نقد الرِّوَايَة، مكتبة لبنان – ناشرون، ١٩٩٨م.

سماحة، فريال كامل، بنية النص الروائي، رسم الشَّخْصِيَّة في روايات حنا مينة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

القاضي، كوثر، شعرية السَّرْد في القِصَّة السعودية المعاصرة، وزارة الثقافة والإعلام، ٢٠٠٩م.

مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، دار محمد علي للنشر تونس، ٢٠١٠م.

عبدالعال، محمد سيّد علي، النص الذي وجد ظله (عتبات النصّ السَّرْديّ الحديث)، طنطا، دار النابغة، جمهورية مصر العربية، ٢٠٢٢م- ٢٠١٤م.

مراد عبدالرحمن مبروك، بناء الزمن في الرِّوَايَة المعاصرة. رواية تيار الوعي نموذجًا (١٩٦٧- ١٩٩٤م) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.